# النفس البشرية و التديّن – دراسة عقدية

د .أحمد علي الزاملي[1]
جامعة الملك خالد أبها– المملكة العربية السعودية
alzamli@kku.edu.sa

تاريخ الوصول: 2020/11/07 القبول : 2021/04/07 النشر علي الخط: 2021/06/15
Received: 07/11/2020 Accepted : 07/04/2021 Published online : 15/06/2021

## ملخّص:

لم تزل البشرية –منذ وجودها– ملازمة للدين وآخذة به، ولم تُعرف مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني خفيت فيها معالم الدين، أو تخلى الإنسان فيها عن التعبد؛ لأنه مكون أصيل في حياته، وجزء جوهري لا ينفصل عن البنية الإنسانية، وأمر فطري ملازم للمجتمعات الإنسانية، ولأن الدين يشغل مناطق الغموض في النفس والطبيعة والكون، فقد تنامى المد الديني في السنوات الأخيرة، ولاقت عودة ظهور الدين ترحيباً من قِبَل الكثيرين، فكان "الدين" ظاهرة كونية مؤثرة في تاريخ الإنسانية وحاضرها؛ ذلك أنه أعظم موجِّه لتحركاتها الاجتماعية، وأعمقَ دافع للسياسة والاقتصاد، وأخطر ما تدور حوله نقاشات العديد من العلماء والباحثين والمفكرين، مما يؤكد على أن النزعة الدينية متعمقة في النفس البشرية.

وتحاول هذه الدراسة الكشف عن علاقة التدين بالنفس البشرية ومدى تأثيره فيها وسيطرته على العقول وتوجيه الفكر والمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: النفس البشرية، التدين، الفطرة، الألوهية، الأديان الحية

## Summary

Since its existence, humankind has still attached and adopted religion, and there has not been a known stage in human history in which the features of religion have been hidden, or where man has abandoned worship. It is an inherent component in his life, an essential part inseparable from the human structure and an innate matter inherent in human societies. Because religion occupies areas of ambiguity in the soul, nature and the universe, the religious tide has grown in recent years, and the "Resurgence of Religion" has been welcomed by many people. Religion was a universal phenomenon affecting the history and present of humanity; this is because it is the greatest guide of its social movements, the deepest motivation for politics and economics, and the most dangerous thing about which many scholars, researchers and thinkers debate, confirming that religious tendency is deep in the human soul.

This study attempts to uncover the relationship of religiosity with the human soul and the extent of its influence on it and its control over minds and guiding thought and societies.

**Keywords:** human psyche, religiosity, instinct nature, divinity, living religions.

[1] المؤلف المرسل: أحمد علي الزاملي البريد الإلكتروني:alzamli@kku.edu.sa

## مقدّمة:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبره تكبيراً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً، أما بعد:

لم تزل البشرية –منذ وجودها– ملازمة للدين وآخذة به، ولم تُعرف مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، خفيت فيها معالم الدين، أو تخلى الإنسان فيها عن التعبد؛ لأنه مكون أصيل في حياته، وجزء جوهري لا ينفصل عن البنية الإنسانية، وأمر فطري ملازم للمجتمعات الإنسانية، وفي بيان هذه الحقيقة يقول أرنولد توينبي"Arnold J. Toynbee" (1975م):" إن جوهر الدين ثابت ثباتَ جوهر الطبيعة البشرية ذاتِها؛ فالدين في الحقيقة، صفة ذاتية مميزة للطبيعة البشرية"[1]، ويقول هنري برجسون "Henri Bergson" (1941م): "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد جماعة بغير ديانة"[2]، فلم يكن التدين أمراً طارئاً على الحياة الإنسانية أو لاحقاً عليها في التاريخ، وإنما هو موجود مع وجودها.

كما أن الدين ليس مختفياً إطلاقاً عن ساحة العالم المعاصر، بل إن أندريه مالرو "André Malraux" (1976م) توقّع بأنّ يكون **القرن الحادي والعشرون** قرن الأديان، وأن يكون ازدياد العلم ونمو المعرفة سبباً في نمو غريزة التدين[3]؛ ذلك أن كل باب جديد يفتحه العلم من دلائل عظمة الكون وامتداده، ينفتح معه أفق أوسع للسؤال عما يتصل بهذا الميدان الجديد من المشاكل الكثيرة الغامضة، وهكذا كان اتساع نطاق المعلومات، هو بنفسه اتساع لنطاق المجهولات.

ولأن الدين يشغل مناطق الغموض في النفس والطبيعة والكون، فقد تنامى المد الديني في السنوات الأخيرة، ولاقت **عودة ظهور الدين** (Resurgence of Religion) ترحيباً من قِبَل الكثيرين، بوصفها وسيلة لتزويد السياسة العلمانية، بما يرونه بعداً أخلاقياً ضرورياً، واستجابة للضرورات العقلية والدوافع الداخلية "الفطرية" التي يجدها الإنسان في نفسه، فشملت عودة معظم التقاليد الدينية للديانات السماوية الثلاثة الكبرى، والأديان الوضعية كالبوذية والهندوسية وغيرها، فضلاً عن ظهور حركات دينية جديدة حول العالم أخذت أشكالاً متعددة، منها المعتدل ومنها المتطرف، وجميعها تضع المعتقد الديني في مكان الصدارة، بما يعكس أن المادية والإلحاد والعلمانية، والأفكار الأخرى، لا توفي باحتياجات الإنسان النفسية والروحية والعاطفية، وإمداده بالثقة اللازمة للتعامل مع القضايا المسببة للقلق.

---

(1) تاريخ البشرية، أرنولد توينبي (1/ 19).

(2) منبعا الأخلاق والدين، هنري برجسون (ص 123) نقلا من (الدين) لدراز (ص 83).

(3) ينظر: رواية الشرط الإنساني، أندريه مالرو (ص 74).

فكان "الدين" ظاهرة كونية مؤثرة في تاريخ الإنسانية وحاضرها؛ ذلك أنه أعظم موجِّه لتحركاتها الاجتماعية، وأعمقَ دافع للسياسة والاقتصاد، وأخطر ما تدور حوله نقاشات العديد من العلماء والباحثين والمفكرين، مما يؤكد على أن النزعة الدينية متعمقة في النفس البشرية.

**من أجل هذا** تتضح أهمية كشف مشكلات هذا الجانب، من جهة علاقته بالدين، وأثره في النفس البشرية، في وقت صارت فيه الأديان ذات تأثير ظاهر على نظرت الإنسان للوجود والحياة والمجتمع من حوله، ما دفع الباحث إلى محاولة الكتابة في هذا المجال تحت عنوان: "**النفس البشرية والتدين دراسة عقدية**"، لمعرفة أهمية التدين على النفس البشرية، بعد أن بذل الباحث جهده في الوصول لدراسات تهتم بكشف هذا الجانب، ولم يقف على دراسة سابقة بشأن هذا الموضوع، تتناوله من منحى عقدي وفكري، جلّ ما وجد لا يعدو أن يكون سوى كتابات علم النفس الديني وفلسفة الدين، وهي بعيدة عن أصل الموضوع وطريقة تناوله.

- **مشكلة البحث:**

**يحاول البحث الإجابة على** ما الباعث على هذا التدين؟ وعلى التساؤل القائم حول أثر الدين على النفس البشرية في الوجود والحياة والمجتمعات الإنسانية؟ ودراسة ذلك دراسة عقدية وصفية، وكل شيء يقتحم حياة البشرية ويغير مجراها يصبح إشكالية حقيقية تستوجب البحث والتفكير.

- **أهداف البحث:**

من خلال العرض السابق لملامح الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة التصدي لها، يتضح أن الهدف المحوري يتمثل في محاولة الكشف عن وظيفة الدين ومدى تأثيره على النفس البشرية من خلال الجانب العقدي، ويطلب تحقيق الهدف المحوري تحقيق أكثر من هدف فرعي، **منها:**

إيضاح العلاقة بين الدين والتدين، وتلمس أثر الدين على صياغة الأنظمة والقوانين والنظريات العلمية والقيم والموازين وغيرها، والوقوف على مظاهر نزعة التدين، ومحاولة تفسير عود قوة الدين، والوقوف على حاجة الحياة البشرية للتدين، وإظهار أصول الأديان وطبيعة الأسس التي ترتكز عليها، لكشف حقيقتها، وإبراز خطئها الواقع في تصورات المعتنقين للأديان المحرفة أو الباطلة، ومعرفة مدى تأثير الأديان أو تأثرها أو انحرافها في رحلتها التاريخية عن الحق الذي أرسل الله به الرسل، والوقوف على جمال الإسلام، وعظمة هذا الدين وإدراك المكانة العظمى له، وفقه التعامل والقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، والإسهام في حماية جناب العقيدة، وطرح الإسلام كبديل للأديان المنحرفة، والاقتداء بمنهج القرآن والسنة، والسير على هديهما، في عرض آراء ومواقف المخالفين والمؤمنين بدعوات الرسل عليهم السلام.

## المبحث الأول: الأديان والتدين.

### التمهيد

### أولاً: تعريف النفس البشرية:

**تعريف النفس في اللغة:**

تأتي كلمة النفس في اللغة بمعان عدة بحسب اشتقاقاتها: فهي تُنطق بسكون الفاء وبتحريكها[1]، **فالنَّفَس بتحريك الفاء** تدل على النسيم والنسمة وتنسَّم تنفس، ويقال: أنت في نفَسٍ من أمرك، أي في سعة، ويقال: نَفَس الله عنك، أي فرجٌ ووسعٌ بعد الكرب، ويقال: تنفس النهار إذا زاد وامتد وطال وكذلك الموج إذا نضح الماء، وتنفس الصبح إذا أسفر وأضاء حتى يصير نهاراً بيناً، **والنفِس بكسر الفاء** كنفِس بالشيء، أي ضن به، ونفِست، أي: ولدت المرأة، ونفِست علي بخير قليل أي حسدت، **والنفس بضم الفاء:** يقال هذا الأمر فيه نفُسة أي مهلة، ونفُس الشيء، أي صار نفيساً مرغوباً فيه[2].

**أما النَّفْس بسكون الفاء** وجمعُها: نفوس وأنفُس، فتأتي في اللغة بعدة معاني أيضاً: تأتي النفس بمعنى "**حقيقة الشيء وجملته**"، يقال: قتل فلانٌ نَفْسه، أو جاء هو بنفسه؛ أي: ذاته وجملته[3]، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: 33]، والقتل الذي يصيب الإنسان هو قتل للنفس.

وتأتي النفس بمعنى: "**القوة العاقلة المدركة في الإنسان**"، فالنفس التي يأتي ذكرها في القرآن[4] هي الإنسان المسؤول المحاسَب: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: 30]، والنفس العاقلة لها القدرة على إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما؛ قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: 7، 8]، والنفس جهازٌ خفيٌّ عامل في الإنسان، فهي الإنسان المعنوي، ولهذا كانت موضعَ الخطاب من الله تعالى، كما أنها كانت موضع الحساب والثواب والعقاب[5]، وهذا هو المعنى الذي يقصده البحث.

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس (5/ 460).

(2) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (2/ 848)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (3/ 984، 985)؛ مقاييس اللغة، ابن فارس (5/ 460)؛ لسان العرب، ابن منظور (6/ 233، 234)؛ تاج العروس، الزبيدي (16/560، 561)؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (2/ 940).

(3) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري (13/ 8)، لسان العرب، ابن منظور (6/ 233)، تاج العروس، الزبيدي (16/ 561).

(4) وردت كلمة النفس، في القرآن الكريم 295 مرة، مفردة وجمعاً ومضافة.

(5) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، للدكتور عبد الكريم الخطيب (12، 1167)، (16/ 1585).

وتأتي النفس بمعنى "**الروح**"، يقال: إنّ فلاناً جاد بنفسه، أو خرجت نَفْس فلان؛ أي: روحه[1]، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]؛ يريد الأرواح[2]، وحسبنا أن نُؤمِن بأن الروح مِن أمر الله، فلا سبيل إلى الكشف عنها؛ كما يقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85].

وتأتي النفس أيضاً بمعنى "**عند**"، ومنه قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116]، ومعناه: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك[3]، قال الطاهر بن عاشور (1393 هـ) في تفسيره: "والمعنى هنا: تعلم ما أعتقده؛ أي: تعلم ما أعلمه؛ لأن النفس مقرُّ العلوم في المتعارف، وإضافة النفس إلى اسمِ الجلالة هنا بمعنى العلم الذي لم يطَّلِع عليه غيره؛ أي: ولا أعلم ما تعلمه؛ أي: مما انفردت بعمله، وقد حسَّنه هنا المشاكلة كما أشار إليه في الكشاف"[4].

وقد تأتي النفس بمعنى "**العظمة**"، ومنه قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28]، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام:54]، وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [سورة طه:41]، وبعضهم يجوز إطلاقها بمعنى الذات والحقيقة على الله تعالى[5].

كما أن النَّفْس تأتي بمعان أخرى مثل "**الحسد والعين**"، يقال: أصابته نَفْسٌ؛ أي: عَيْن[6]، والنافس العائن، وبمعنى "**الدم**"[7]، يقال: سالت نفسه، وفي الحديث: (**ما ليس له نَفْسٌ سائلة لا يُنجِّس الماء إذا مات فيه**)[8]، والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها "**التمييز**" نفسين؛ وذلك أن النَّفْس قد تأمره بالشيء وتنهى عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نَفْساً، وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى[9]، وتأتي بمعنى "**القلب**" ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم:23] أي القلوب، وبمعنى "**الجنس والنوع**"، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة النحل:72] أي من

---

(1) لسان العرب، ابن منظور (6/ 234)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (3/ 984).

(2) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (298/12).

(3) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري (13/ 8)؛ لسان العرب، ابن منظور (6/ 234)؛ تاج العروس، الزبيدي (16/ 560).

(4) التحرير والتنوير، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (7/ 115).

(5) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (14/ 196) (9/ 292، 293)؛ محاسن التأويل، القاسمي (2/ 306)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور (3/ 221)؛ شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين (ص 244)؛ شرح صحيح البخاري، ابن عثيمين (368/8)؛ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان (211/1).

(6) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (2/ 848)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (3/ 984)؛ تاج العروس، الزبيدي (560/16).

(7) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (2/ 848)؛ لسان العرب، ابن منظور (6/ 235)؛ تاج العروس، الزبيدي (559/16).

(8) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (3/ 984)؛ لسان العرب، ابن منظور (6/ 235)؛ تاج العروس، الزبيدي (16/ 559).

(9) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (6/ 234)؛ تاج العروس، الزبيدي (16/ 573).

جنسكم[1]، وتأتي كذلك بمعنى "**الرُوع**"[2] فقولك: في نفس فلان أن يفعل كذا، أي في رُوعه، ومن معاني النَّفْس "**الأخ**"[3]، "**الأخ**"[3]، وشاهده قول الله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النور: 61].

**تعريف النفس البشرية في الاصطلاح:**

واصطلاحاً، لها عدة تعريفات: فمنهم من جعل **النَّفْس والروح بمعنى واحد** وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ¬ (728هـ) في النفس أنها:" الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه وهي النفس التي تفارقه بالموت،... لكن تسمى نفساً باعتبار تدبيرها للبدن وتسمى روحاً باعتبار لطفه، فإن لفظ الروح يقتضي اللطف"[4]، كما يرى ابن قيم الجوزية ¬ (751هـ) أن القول الصحيح في النفس:" أنها جسم نوراني علوي خفيف حيّ متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وإفادتها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح"[5].

أما الغالب على الفلاسفة فهو الاضطراب في وضع حد للنَّفْس، فمنهم من أطلق لفظ **النَّفْس** على أنها جوهر خالد أزلي يشبه الإله، وكل النظريات اليونانية في النفس تهدمها النظريات العلمية القائمة على التجربة العلمية[6].

أما **النَّفْس** في اصطلاح علماء أهل الكلام، فهي كما يقول الجرجاني (816هـ): "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"[7]، ويقول المناوي(1031هـ) هي: "جوهر مشرق تتعلق بالبدن على ثلاثة أضرب: الأول إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، فهو اليقظة، وإن انقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم، أو بالكلية، فهو الموت"[8].

---

(1) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (7/ 299)؛ الوجيز، الواحدي (ص840)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (3/ 88)؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (2/ 620)؛ مفاتيح الغيب، الرازي (25/ 91)؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (10/ 142)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (2/ 158)؛ فتح القدير، الشوكاني (3/ 214).

(2) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري (13/ 8)؛ لسان العرب، ابن منظور (6/ 233).

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (6/ 234)؛ تاج العروس، الزبيدي (16/ 570).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (9/ 289، 290).

(5) الروح، ابن القيم (ص 179).

(6) ينظر: النفس عند الفلاسفة الإغريق عرض ونقد، د. حياة بنت سعيد بن عمر باأخضر، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد (46) محرم 1430هـ (ص 148).

(7) التعريفات، الجرجاني (ص 242- 243).

(8) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص 327).

**ونقصد بالنَّفْسِ البشرية** هَاهُنَا: هي النفس التي تأتي بمعنى **الذات الإنسانية**، حيث تطلق ويراد بها هذا المركَّب والجملة المشتملة على الجسم والروح[1]، وهي مَا يَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة:13]، وقال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة الأنعام:152]، وقوله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[2].

## ثانياً: تعريف الدين وماهيته:

### تعريف الدين لغةً:

الدال والياء والنون (دين) أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها، مشتق من الفعل الثلاثي "دان"، وهو جنس من الانقياد، الذي يقوم عليه وجود علاقة بين طرفين: أعلى وأدنى، فإذا استعمل اللفظ في الطرف الأعلى كان ملكاً وحساباً وسلطاناً، وإذا تعلق بالطرف الأدنى كان خضوعاً وطاعةً وإذعاناً، وإذا أريد به الرباط الجامع بين الطرفين كان عقيدةً ومذهباً ونظاماً[3].

لذلك **فالدين** ليست كلمة واحدة، بل تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب، بيانه أن لفظ "الدين" يتعدى تارة بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به:

**فإذا تعدى بنفسه** يكون "دانه" بمعنى ملكه، وحكمه، وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه وكافأه، فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة، ومن ذلك أطلق على الحق تبارك وتعالى "الديان" بمعنى: القهّار، الحاكم، وقيل للرسول ﷺ: يا سيد الناس وديَّان العرب، باعتبار أنه الحاكم ووليّ أمرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4] أي: يوم المحاسبة والجزاء، ومن قبيل هذا الاستعمال في السنة النبوية حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**الكيس من دان نفسه** -أي أذلها واستعبدها وحاسبها-، **وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله**)[4].

---

(1) ينظر: تاج العروس، الزبيدي (16/ 570)؛ الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور محمد حمدي زقزوق، (ص ١٤٠٩) آفات النفس، نعيمة عبد الله البرش (ص 11).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 12)، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (13)؛ ومسلم في صحيحه (1/ 67)، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (45).

(3) الدين، د. محمد دراز (ص 33).

(1) أخرجه الترمذي في جامعه (4/ 55)، كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب 25، حديث رقم (2459)، وقال: هذا حديث حسن؛ وابن ماجه في سننه (5 / 328)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (4260)؛ وأحمد في مسنده (7 / 3799) حديث رقم (17398).

**وإذا تعدى باللام** يكون "دان له" بمعنى أطاعه، وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع، والانقياد والذل، وكلمة "الدين لله" يصح منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله، ومن قبيل هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3]، المعنى الثاني ملازمٌ للأول ومطاوع له " دانه فدان له "؛ أي: قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

**وإذا تعدى بالباء** يكون "دان به" بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به سواء أكان حقّاً أم باطلاً، واعتقده(1)، وسميت العادة بذلك؛ لأن النفس إذا اعتادت شيئا انقادت له(2)، ومن قبيل هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:6 ]، ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)** (3)، ومنه: الدِّين، وجمعه الأديان، يقال: دان بكذا ديانة فهو دَيِّن، وتَدَيَّن به فهو متدين(4)، هذا الاستعمال الثالث تابعٌ أيضاً للاستعمالين قبله؛ لأن العادة أو العقيدة التي يُدان بها، لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلتزم باتباعها.

وهكذا يظهر جليًّا أن هذه المادة بكل معانيها أصيلةٌ في اللغة العربية، وأن ما ظنه بعض المستشرقين(5) من أنها دخيلة، مُعرَّبة عن العبرية أو الفارسية في كل استعمالاتها أو في أكثرها بعيدٌ كل البعد.

**والذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات هو الاستعمال الثالث،** فكلمة الدِين لها معنيان لا غير، أحدهما: الحالة النفسية التي تسمى **"التدين"**، والآخر: تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تَدين بها أمَّةٌ من الأمم، اعتقاداً أو عملاً، وهذا المعنى أكثر وأغلب (6).

## تعريف الدين اصطلاحاً.

يصعب أن نجد اصطلاحاً معيناً لمعنى "الدين" تواطأ عليه علماء الأديان، لا سيما وأنها لا توجد جماعة إنسانية خالية من التفكير في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، دون أن تتخذ لها في هذه المسائل رأياً معيناً، واعتقاداً خاصاً، فكل دين تدين به كل جماعة، يختلف عن الآخر، بل إن الدين الواحد، يفترق أتباعه إلى فرق شتى، إضافة إلى أن إيجاد عناصر مشتركة تجمع كل المتدينين على اختلاف أديانهم ونحلهم وفرقهم ومناهجهم وطرائق تفكيرهم؛ محاولة لا تخلو من نظر، فنتج عن

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (13/ 169)؛ ومقاييس اللغة، ابن فارس (319/2)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لدكتور سعود الخلف (ص 11).

((2) ينظر: نظرات في دراسة الأديان، أ.د. عبد الله سمك (ص13 –16. (

(3) أخرجه أبو داود في سننه (4 /407) حديث رقم (4833)، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس؛ والترمذي في جامعه (4 / 187) حديث رقم (2378)، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(4) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (5/ 2119)؛ لسان العرب، ابن منظور (13/ 169).

(5) ينظر: دائرة معارف الإسلام في كلمة Din موقع "Brill" للنشر الأكاديمي:

https://referenceworks.brillonline.com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/din-COM_0168?lang=en

(6) الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان، د. محمد دراز (ص32، 33).

ذلك اختلافٌ واسعٌ في تعريف مصطلح "الدين"(1) حيث عرّفه كل إنسان حسب مشربه، إلا أنها وجدت أربعة عناصر أساسية تشترك فيها جميع الأديان(2):

1. **معبود:** "واحد أو أكثر" يتجه إليه بالطاعة والتقديس.
2. **عابد:** شعائر وممارسات معينة يقوم بعملها المتدين.
3. رباط جامع بين العابد والمعبود، يتمثل في مسائل الاعتقاد والتشريع والأخلاق، وطريقة يلتزم بها العابد نظريّاً وعملياً، تتسع وتضيق، وتختلف باختلاف الدين الذي يدين به الفرد والجماعة.
4. **غاية:** وهي جلب النفع أو دفع الضر، أو هما معاً، أي أن الهدف من الدين تحقيق مصلحة تتعلق بالثواب والخير، أو العقاب والشر، أو نيل رضا المعبود، وتجنب سخطه، أو الحصول على السعادة والبعد عن الشقاء.

ونجد من منظور التعريفات أن "الدين" له إطلاق **خاص** وإطلاق **عام:**

**الإطلاق الخاص:** يراد به دين الإسلام، الذي هو دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، وهذا هو الأصل في إطلاق كلمة "الدين"، ويدل عليه قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، وقوله تعالى:﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ، ومنه قول النبي ﷺ: **(الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)**(3)، وبعد أن جاء الإسلام فلا يقبل الله من الناس ديناً غيره، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:85]، وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة: ٣] (4).

**أما الإطلاق العام:** فهو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها، وهذا الإطلاق يشمل الأديان الصحيحة والباطلة، سواء كانت الباطلة ديانة سماوية محرفة؛ كالديانة اليهودية أو النصرانية بعد تحريفهما ونسخهما بالشريعة الإسلامية، أو كانت ديانة وضعية غير سماوية؛ كالوثنية والبوذية(5)، ومما يدل

---

(1) تتلخص أسباب فشل الإنسان في وضع تعريف موحد وثابت للدين، في البنود التالية:

–خلو الديانات –باستثناء الإسلام– من تعريف الدين. –خلو الديانات –باستثناء الإسلام– من وجود غايات من الخلق.

إغفال المنظور الإلهي في تعريف الدين. –إغفال الفطرة البشرية الخاصة بالدين والتدين. وبالتالي أصبحت الرؤية للدين تتراوح بين: "فكر الوهم" و"فكر الاعتقاد". ينظر: الحوار المتمدن [موقع]، لماذا الاعتقاد في الديانات الخرافية؟، محمد الحسيني إسماعيل، نشر بتاريخ: 2007م / 7 / 29 متاح: ttps://www.ahewar.org/s.asp?aid=104174&r=0

(2) ينظر: نظرات في دراسة الأديان، أ.د. عبد الله سمك (ص 19).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (4 / 167)، حديث رقم (3443)،كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها)؛ ومسلم في صحيحه (7 / 96) حديث رقم (2365)، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.

(4) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (3/ 90)؛ ونزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي (ص295).

(5) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف (ص9-12)؛ نظرات في دراسة الأديان، أ.د. عبدالله سمك (ص 18).

على هذا الإطلاق قول الله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون:6]، والخطاب في هذه السورة كان لمشركين وثنيين، ومع ذلك سماه ديناً، وقد جاء ذكر الإطلاقين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [سورة التوبة:33].

**والمقصود** في هذه الدراسة **هو الإطلاق العام**: وهو أن الدين يصح أن يطلق على كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، ليشمل الإسلام وغير الإسلام![1].

ونخلص إلى أن أرجح تعريفات "الدين" للمعنى الاصطلاحي أن يقال: **هو اعتقاد قداسة ذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة باطناً وظاهراً، تُرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات في رغبة ورهبة وخضوع وتمجيد**[2]، أو بعبارة موجزة: **الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة.**

وهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقّاً- وهو الله عز وجل- أو معبوداً باطلاً -وهو ما سوى الله عز وجل-، كما يشمل أيضاً العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم، سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أو لها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية الأصل كالهندوكية، والبوذية، وعموم الوثنيات، والمؤمنون في كلّ الأديان يستقون إيمانَهم من منبع مشترَك هو الحق، وإن تجلى لكل منهم في صور تتنوع بتنوع دياناتهم، كما يبرز التعريف حال العابد؛ إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلّاً وحبّاً للمعبود حال العبادة؛ إذ إن ذلك أهم معاني العبادة، ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو هما معاً؛ لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة[3].

**تعريف التدين:**

الغالب في لفظ "الدِّين" أن يرد بمعنى "**التدين**" على سبيل الترادف، سواء على مستوى نصوص الشرع، أو على مستوى نصوص اللغة، ولفظ "التدين" فصيح في العربية، وإن لم يجرِ استعماله لدى الأقدمين كثيراً؛ فأغلب استعمال العلماء قديماً لمعنى التدين، إنما هو بلفظ (الدين) لا (التدين)، وذلك نحو قول علماء الجرح والتعديل: "لين الدين، أو في دينه لين" لمن كان ضعيف التدين.

---

(1) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف (ص10)؛ نظرات في دراسة الأديان، أ.د. عبدالله سمك (ص16- 20). ودليل صحة التعريف أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى دينا، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، قوله تعالى: (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) [آل عمران: ٨٥].

(2) ينظر: الدين، محمد دراز (ص53)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف (ص 10).

(3) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص 13).

ولم يرد لفظ "التدين" في القرآن قط، حتى إنه لما أراد الله عز وجل أن يأمر بحسن التدين قال سبحانه: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: 13]، فـ (إقامة الدين) كما دل عليه السياق: هي تطبيق نصوص الدين، والتطبيق: هو "التدين"، وإنما شاع استعمال لفظ "التدين" في العصر الحاضر؛ نظراً لما عرفه الناس من الانسلاخ عن الالتزام بالدين؛ إذ قد يكون المسلم متديناً وقد يكون غير متدين، دون أن يَلزم عن ذلك الخروج الكامل عن الدين، ولم يكن الناس قبل في حاجة إلى هذا التمييز في القديم إلا قليلاً، وأيضاً فإن خلط الدين **كنصوص** في أذهان الكثير من الناس، بالدين **كممارسة** بشرية؛ أدى إلى استحباب بعض العلماء الفصل بين المعنيين بتخصيص "الدين" في الفكر الإسلامي الحديث، للدلالة على مجموع نصوص الوحي من الكتاب والسنة، وتخصيص "التدين" كما هو في اللغة بالدلالة على التطبيق البشري للدين(1).

ومما يمكن ملاحظته أن مفهوم "التدين Religiosity" يعبر عن: الحالة النفسية والسلوكية، الناشئة عن شعور الإنسان الفطري، بالعجز والنقص والاحتياج للقوة العليا المهيمنة الجديرة بالعبادة والطاعة، لتمثيل قيم الدين في نفسه ومجتمعه، فينشأ من ذلك الفرد المتعبد والجماعة المتعبدة(2).

ومهما يكن من استخدامات هذا المصطلح، فإن "التدين" تعبيرٌ مناسب عن الدين في صورته الإجرائية، مما ييسر إمكانية فحصه وتقديره، من هنا يصف "التدين" محتوى السلوك الديني (Religious Behaviour) بمفهومه الواسع لا المحدد بالنظرية السلوكية(3)، ويضم هذا المصطلح مجموعة من المكونات Components التي بمجموعها تشكل السلوك الديني.

## المطلب الأول: الأديان الحية:

تعتبر "الأديان الحيّة living religions" هي كل الأديان القديمة التي لا زالت تمارس، أو التي ظهرت بسبب التطوّرات العلمية وميل الأديان نحو الحياة الروحية والمجتمعية والمدنية منذ القرن العشرين(4).

---

(1) ينظر: الدين والتدين، أحمد الباقوري (ص 9).

(2) هناك تعريفات كثيرة -عربية وغير عربية- يبرز كل تعريف منها وجها أو أكثر من وجوه الدين، ولكنها جميعا غير تامة، وغير متكافئة في إفراز السمات الخاصة والعامة إبرازاً كاملاً.

ينظر: الحماسة، أبو تمام (1/ 59 - 60)؛ مقاييس اللغة (2/ 319،320)؛ الملل والنحل، الشهرستاني (1/ 37)؛ أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 28) عند قوله تعالى:(مالك يوم الدين)، لسان العرب، ابن منظور (13/ 166، 167)؛ التعريفات، الجرجاني (ص 105، 106)؛ القاموس المحيط، الفيروزآبادى (ص 1198)؛ خزانة الأدب، البغدادي (3/ 431)؛ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي (1/ 814)؛ لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، السفاريني (1/ 195)؛ تحفة المريد على جوهرة التوحيد، البيجوري (ص 41، 42)؛ الإنسان الأديان دراسة مقارنة، د. محمد كمال جعفر (ص16 -22)؛ دائرة معارف الإسلام في كلمة.

(3) التدين قيمة في ذاته، لذلك لا يزول بزوال الحركات وسقوط الأحزاب المتدينة أو التنظيمات، بل هو باق من بعدها، وهو قائم بالضرورة خارجها وليست شرطاً له، والأمثلة لا تحصى عن أشخاص وثقافات وبيئات متدينة ولكنها ليست حزبية ولا تنظيمية ولا هي تيار أو حشد. ينظر: كتاب ما بعد الصحوة تحولات الخطاب من التفرد إلى التعدد د.عبد الله الغذامي (ص 51-52).

(4) بهذا الاعتبار تعتبر الأديان الحية كثيرة جداً يصعب معها وضع إحصائية دقيقة لعدد معتنقيها، بسبب التبدلات السريعة في عددهم، وإهمال المنتمين إلى الإلحاد أو المرتدين أو المتحولين في كل الأديان.

وأي ديانة يمكن أن تؤسس إذا كان **لها آلةٌ** تؤمن بها، **ومؤسس** (الوسيط) لهذه الديانة، ولها **كتاب** يجمع النصوص المقدسة، ويكون لها أيضاً **الرؤية الكونية** "world view"[1] **للمصير** (وجود البعث وآلية الثواب والعقاب)، **وللشرع** (مبادئ شرعية لتنظيم الحياة وفقا للرؤية الكونية التي يقدمها هذا الدين)، ووفق هذه الشروط فإنه يوجد أكثر من عشرة آلاف دين مستقل في ذاته، إلا أنَّ عدداً قليلاً من هذه الديانات تعتبر الأكثر انتشاراً والتي يؤمنُ فيها (98%) من سكان العالم، وتقسم الديانات الموجودة اليوم وفق الآتي[2]:

**الأديان الكتابية**: كاليهودية "14 مليوناً" والمسيحية "2 بليون" والمسلمين"1.3 بليون"[3]، أما اليهود والنصارى فبسبب عدم عملهم بما ورد في كتبهم، وبسبب اتخاذهم البشر أرباباً من دون الله، وبسبب تطاول العهد، فُقدت كتبهم التي أنزلها الله على أنبيائهم؛ فكتب الأحبار لهم كتباً زعموا أنها من عند الله، وما هي من عند الله، إنما هي انتحال المبطلين وتحريف الغالين، حتى أصبحتا على الشرك.

أما كتاب المسلمين "القرآن العظيم" فهو آخر الكتب الإلهية عهداً، وأوثقهم عقداً وتكفل الله بحفظه؛ ولم يَكِل ذلك إلى البشر قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:9]، يقول المؤرخ أرنولد توينبي "Arnold J. Toynbee" (1975م): "الإسلام هو أنقى أديان التوحيد"[4]. وذلك لأن الإسلام ليس منهج عبادة وإنما منهج فكر وحياة، يتميز بصرامة توحيدية شديدة وتصور واضح لسمو الذات الإلهية[5]، إلا أن منهم: المسلم المتمسك بدينه، المعتصم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنهم المنتمي للإسلام وهو على شيء من الانحراف والضلال أو على الكفر أو الجهل، وهؤلاء مع الأسف كثير ممن يدعي الإسلام من الصوفية، والرافضة، والباطنية، والنصيرية، والقبوريين وأصحاب المبادئ والاتجاهات الهدامة: كالاشتراكية، والبعثية، والقومية، والعلمانية، وسواهم من ذوي الانحراف العقدي والعملي[6].

**الأديان التي لها شبه كتاب**: كالمجوسية (الزرادشتية) "150 ألفا"، والموحدون والخلاصيون ديانة منشقة عن المسيحية "800 ألف"، فلديهم كتب متوارثة منسوبة إلى صاحب ديانتهم.

---

(1) (المتأمل يجد أن الغاية النهائية من جميع بحوث الفيزياء النظرية، بما في ذلك البحث عن " نظرية المجال الموحد"، وكذا الغاية النهائية من بحوث وكالة الفضاء الأمريكية وبالأموال الهائلة التي تنفق في هذا المضمار، هو معرفة: أصل الكون، والغاية من وجود الإنسان على الأرض وفي هذا الكون، وهل الإنسان هو المخلوق الوحيد في هذا الكون، والبحث عن كتاب الحكمة –ويتمثل هذا في بحوث الآثار الفرعونية القديمة.. وخصوصا ما يتعلق بغرف الأهرامات غير المكتشفة والتي قد تحوي هذا الكتاب–). ينظر: لماذا الاعتقاد في الديانات الخرافية؟، محمد الحسيني إسماعيل، نشر بتاريخ: 2007م / 7 / 29 متاح: https://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=104174&r=0

(2)دراسة ديموغرافية بيوفوروم (موقع) http://www.pewforum.org/2012/12/18/global-religious-landscape-exec/

(3) مع القرن الحادي والعشرين، يبدو الإسلام –حسب كتاب غينيس للأرقام القياسية– الأوسع انتشاراً في العالم، وتأتي المسيحية بعده، ثمّ البوذية، التي تنتشر سريعاً في الغرب.

(4) العودة إلى الإيمان، د. هيثم طلعت (ص24).

(5ينظر: كتابه الإسلام بين الشرق والغرب بيغوفيتش (ص 277).

(6) ينظر: الانحرافات العقدية والعملية، علي الزهراني (ص 271–594).

**الأديان الوضعية الوثنية**: وهي كل دين مبتدع يقوم في أصله على الشرك والوثنية "عبادة الأصنام" وتقديس المخلوقات، وهم الأكثر إلى الآن، وضعها البشر وقدسوها، مثل: الهندوسية "900 مليون"–الكونفوشيوسية "5.3 مليون"–البوذية "360 مليوناً"–الشنتوية "4 ملايين"، والوثنية الجديدة "مليون تابع فقط"، وهي مصطلح عام للعديد من الأديان المتباينة، التي تؤمن بالسحر والأساطير[1].

**الأديان الأسطورية أو الخرافية**: وهذه في البيئات التي يكثر فيها الجهل، مثل: صحراء أفريقيا وقارة أستراليا وأمريكا الجنوبية، وشرق آسيا، كالدين التقليدي الصيني "225 مليوناً"، والأديان المحلية البدائية "150 مليوناً"، والأديان التقليدية الأفريقية ودياسبوريك "95 مليوناً"، وديانة جوتش كورياً الشمالية "19 مليون تابع"، والروحية في أمريكا "14 مليوناً"، واليانية "4 ملايين"، وديانة كاو دي الفيتنامية "3 ملايين"، وديانة تينريكيو اليابانية "2.4 مليون"، وديانة راستافاريانيسم في جامايكا الأفريقية "700 ألف".

**الأديان الملفقة**: السيخية "23 مليوناً"، والبهائية "6 ملايين".

**الأديان الشاذة**: مثل "عبدة الشيطان[2]".

يحسن التنويه إلى أن عموم الأديان لجميع الأمم لا يعني عمومها لكل أفرادها؛ فلا تخلو أمةٌ من "منكرين ساخرين[3]" كبعض العلمانيين، وبعض الفلاسفة، والدهريين، والشيوعيين، واللاأدرية واللادينية والملحدين "850 مليوناً"، يتخذون الدين وهماً وخرافة وأنه من الأعراض الطارئة على البشرية، كما قال فولتير"Voltaire" (1778م): "إن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون، من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحُمقى والسخفاء"[4]، وكذلك كان نظر جان جاك روسو "Jean-Jacques Rousseau" (1778م) إلى فكرة القانون، حيث ظن أنها ليس لها إلا قيمة وضعية تحكمية، وفسر ذلك بقوله: "إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض، حدا بهم جشعهم، وحرصهم على المحافظة على ملكيتهم،

---

(1) وهذه الأديان كافرة صريحة الكفر، وعلى المسلم ألا يرتبط معهم بأخوة أو مودة أو ولاء؛ لأنهم محادون لله ورسوله ﷺ.

(2) يدعوا "عبدة الشيطان" إلى تمجيد القوة، والاستمتاع بكل ما حرمته الأديان والاستعانة بالسحر والسحرة. ويرون أن الشيطان يكافئ أتباعه بالسرور والسعادة وامتلاك الدنيا بكل مسراتها، وبعد الموت يبعثون إلى الأرض ليحكموها ويتمتعوا بملذاتها، وأكثر معتنقيها من المراهقين الذين، وتجبر الطقوس المريد على شرب الدماء وتمزيق أجساد حيوانات حية، وممارسة الشذوذ النواسي، ويلتقطون الصور وهم عراة، والعياذ بالله.
ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة تحليل، طارق التلباني (ص 69) وما بعدها.

(3) وهؤلاء في الواقع يؤمنون "أو يدينون" بديانة ما مستترة، وإن كانوا لا يدركون مثل هذا المعنى، فالمذاهب الاجتماعية تعتبر في جوهرها شكلاً من أشكال التدين المستتر، ويعلم عند هذا أن التدين أمر فطري وهو صفة الخلق الثابتة فيه. ينظر: الدين والعلم وقصور الفكر البشري، د. محمد الحسيني إسماعيل (ص73).

(4) بحث في الأخلاقِ وروح الأمم، فولتير (ص133)، نقلا عن الدين، د. محمد دراز (ص 81).

إلى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين، ليخدعوا بها الجمهور، ويضللوا بها الفقراء"[1]، وهكذا لم تكن القوانين والديانات في تصويرهم إلا ضروباً من السياسة الماهرة التي تهدف إلى علاج أمراض المجتمع بكل حيلة ووسيلة[2]، لكن هؤلاء دائماً هم الأقلون في كل أمة، وهذا الاستثناء من القاعدة، لا ينفي الغريزة الدينية بصفة عامة في طبيعة **النفس البشرية**، كما أن غريزة بقاء النوع لا يمنع من عمومها أن بعض النَّاس لا يتزوجون ولا ينسلون.

**ولعلّ السمة الغالبة على أديان الحية الحاضرة أنّها لا تتحاور فيما بينها**؛ بل تصطرع هنا وهناك، بسبب الإيمان بوجود حقيقة واحدة ثابتة ومطلقة، جعلت كل الديانات مغلقة على نفسها، يرى كلّ دين فيها أنّه هو الدين الذي يملك الحقيقة، والإيمان بهذا هو المدخل الرئيس لتفشي مظاهر العنف بين البشر في معظم الأحوال، يؤكّد هذا جان جاك روسو Jean-Jacques "Rousseau" (1778م) ضمن كتابه الأشهر "في العقد الاجتماعي" بأنَّ السلام لا يكون بين شخصين يعتقد كلّ واحد منهما بأنّ الله غاضب على الآخر[3].

## المطلب الثاني: مبدأ الألوهية:

نجد بأن كل دين يحوي "الإله الخاص به" أو القوة العليا المهيمنة الجديرة بالعبادة والطاعة، وكل الحجج التي يمكن أن تقام على ضرورة الإيمان بالأديان، إنما هي مبنية على الإيمان بوجود الخالق، ومِن أجل ذلك كانت فكرة الإله – رغم تعدُّد أشكالها ومظاهرها – أبرزَ فكرةٍ في مختلف الحضارات والشعوب، **والتاريخ يُحدِّثنا أننا مِن الممكن أن نجد أمماً وشعوباً بلا حضارة مزدهرة مادياً، غير أننا من العسير جداً أن نجد أمماً وشعوباً بلا معابدَ مُقدَّسة**[4]، ذلك أن فكرة الإله الخالق وضرورة وجوده بقِيت متوهِّجةً متألقة، وعميقة راسخة في القلوب والعقول، لإشباع حالة التعظيم والتقديس، يقول مارسيل روبي "Marcel Roby" : "منذ أقدم العصور وجدت لدى البشر قناعات راسخة بوجود الإله، وهذه المعرفة مغروسة في جيناتنا"[5].

وإذا كانت فكرة الإله ملازمة للحياة البشرية، فإن الأصل فيها هو توحيد الله عز وجل، فالإيمان بوجوده سبحانه ليس خياراً متاحاً للإنسان في قَبوله أو رفضه، في الانتماء إليه أو التنكر له؛ ذلك أن وجود الله تعالى قيمةٌ ضرورية يقتضيها منطق العقل، وتتطلَّبها فطرة الوِجدان، وتُحتِّمها طبيعة الأخلاق، وتُوجِبها حكمة الحياة، ويَستلزمها نظام الكون، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، وقوله: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 30]، ولم تكن تُعرف البشرية في أول أمرها بتعدد الآلهة، بل لم تكن تتعبد إلا لإله واحد، وهو الله الخالق الرازق المدبر، وإنما

---

(1) أصل التفاوت بين الناس، جان جاك روسو، نقلاً عن الدين، د. محمد دراز (ص 82).

(2) ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معينة قد استُحدِثت في عصر ما، أو أن يكون ثمة وضع خاص من أوضاع العبادات قد جاء مجاوباً مصنوعاً، فذلك سائغٌ في العقل، بل واقعٌ بالفعل، أما فكرة التدين في جوهرها فليس هناك دليلٌ واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان.

(3) العقد الاجتماعي، جان جاك روسو (ص 171).

(4) حاجة الإنسان إلى الدين، عبد المجيد قناوي، موقع الألوكة نشر بتاريخ: 15-3-2016م، https://www.alukah.net/

(5) تاريخ التفكر بالإله، مارسيل روبي (ص7).

كان الشرك طارئاً عليها وحادثاً بعد أن لم يكن[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [سورة يونس:19]، وقال ﷺ: **(قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)**[2].

والواقع يشهد بأن نزعة التصديق بوجود الله تعالى، مكون صميمي في الإنسان، ومن دلائل ذلك: ظهور مقتضى هذه الفطرة، واستيقاظها عند الشدائد والكوارث، فما أن تقع بالإنسان بلية ومصيبة كبرى، إلا واعتمل في نفسه معنى لا يستطيع دفعه، بأن ثمة قوة عليا بمقدورها استنقاذه والدفع عنه[3]، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: 8] وقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾ [يونس: 22]، يقول الرازي (606هـ) في سياق ذكر بعض أدلة وجود الله تبارك وتعالى: "إن الإنسان إذا وقع في محنة شديدة، وبلية قوية، لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع إلى من يخلصه منها، ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر"[4]، وعموماً، فإن كثيراً من المختصين –حتى من الملاحدة– يقرون بوجود هذا المعنى الفطري في النفس، وإن لم يلتزموا تسميته بالفطرة بطبيعة الحال[5].

كما أدى اتساع الحدود البشرية، إلى ظهور جماعات وأمم تدين بآلهة متعددة ومتنوعة ومجسمة، فأغلب الديانات ترى أن الإله متصل ومخالط للعالم فيعبدون أوثاناً في الأرض، فبرزت فيها عقائد مختلفة مثل: التعدد، والتجسد، ووحدة الوجود، والاتحاد، والحلول؛ وعبادة النار وغيرها! كما أن منهم من يجعل العوالم الغيبية[6] في مقام الآلهة أو بنات الآلهة، ومنهم من يبالغ في تقديس تقديس بعض الكتب والتشريعات، أو بعض البشر الذين يعدون في نظرهم من نسل الآلهة، حتى اعتقدوا إلهيته بعد ذلك، أو تطور احترام الأجداد والزعماء والأبطال إلى عبادتهم، إلا أن الأديان التي قالت بتعدد الآلهة، قالت في الوقت نفسه بإله واحد فوق الآلهة جميعاً[7].

---

(1) ينظر: الاجتماع الديني، الخشاب (ص 137)؛ العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت (ص 138)؛ دراسات نقدية لفلسفة الدين، (ص 68، 69).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: (2865).

(3) هناك مثل غربي: "There are no atheists in foxholes" والمعنى: "لا يوجد ملاحدة في الخنادق"!، وهذا المثل من الأمثال المشتهرة ولم ينسب لأحد نسبة موثوقة.

(4 (مفاتيح الغيب، الرازي (19/ 71).

(5) ينظر: الدين المقارن، د. محمد كمال جعفر (26، 27).

(6) مثل: (الروح– الملائكة– الجن).

(7) ينظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار (ص 89، 91، 92، 143 وما بعدها، 187).

**ومما سبق** يمكننا القول بأن "الإله الوثن" في الديانات الوثنية، يكون قد احتل مكان الإله الحقيقي -أي الله سبحانه وتعالى-، في نفس جموع وأتباع هذه الديانات، وهنا يصبح تمسك الجموع بالإله الوثن والدفاع عنه وبالتالي الدفاع عن الدين، هو دفاع الإنسان الطبيعي عن إدراك وجود الله عز وجل بعد أن احتل الوثن مكانه[1].

## المبحث الثاني: النزعة الدينية في النفس البشرية.

يشهد الواقع المعاش بأن نزعة التدين والإيمان بالله تعالى، مغروسة في النفس البشرية التي أقسم الله عز وجل بها في قوله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: 7]، يقول معجم "لاروس" للقرن العشرين: "إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية"، ويقول: إن هذه الغريزة الدينية "لا تختفي، بل لا تضعف ولا تذبل، إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد"[2]، ولأجل ذلك، كان النزوع إلى التدين والالتزام بالشعائر التعبدية هو المتوافق مع الطبيعة الإنسانية، وأخصُّ وصفٍ لحقيقتها، وأعمق معنى يتجذر في ماهيتها.

وقد لاحظ كثير من الباحثين في مجال الأديان هذه الضرورة الروحية للتدين، ونستطيع تقسيمها إلى نزعات داخلية وخارجية:

### المطلب الأول: النزعة الداخلية للتدين في النفس البشرية[3]:

مع أن الدين ليس من الماديات، ولا من الشهوات التي تتعلق بها النفوس، بل له تبعات ولوازم تجعل الإنسان في كثير من الأحيان يبذل دمه من أجله، فضلاً عن ماله ووقته وعواطفه، ويتحكم الدين في كثير من تصرفاته وعلاقاته، وفيما يلي ذكر أهم النوازع الداخلية الباعثة على التدين:

#### فطرة التَّديُّن:

يعتبر التدين استجابة للضرورات العقلية والدوافع الداخلية "**الفطرية**" التي يجدها الإنسان في نفسه، تجاه الشعور بالحاجة إلى الخالق المدبر، بغض النظر عن تفسير هذا الخالق، ووجود هذا الشعور في الإنسان حتمي خلق معه، ولا يمكن أن يخلو منه أو ينفصل عنه، وهذا الأمر لا يقبل المراءَ بناءً على الشواهد التاريخية والواقعية.

ومن ذلك معرفة عدد أتباع الديانات المختلفة، ففي ذلك دليل واضح على "الفطرة الدينية" لدى الإنسان، وأنها صفة ثابته فيه[1]، يقول ألكسيس كارل "Alexis Carrel" (1944م): "الإنسان كما يحتاج للماء والأوكسيجين هو محتاج لله أيضاً"،

---

(1) ينظر: لماذا الاعتقاد في الديانات الخرافية؟، محمد الحسيني إسماعيل، الحوار المتمدن [موقع]، نشر بتاريخ: 2007م / 7 / 29 متاح: www.ahewar.org

(2) معجم "لاروس" للقرن العشرين Laresusse du XXeme siecle, article: Religion، نقلا عن الدين، د. محمد دراز ص (ص 83، 84).

(3) يقصد بها: ماذا يحدث في داخل النفس من عقائد وخفايا بسبب الدين.

ويقول المطهري(1979م): "إنّ يونغ تلميذ فرويد المعروف وهو أحد علماء علم النفس المعاصرين كان يعتقد بأصالة الحسّ الدينيّ في عمق وجدان البشر، ويرفض نظرية أستاذه المبنية على أنّ الإحساس الدينيّ هو إحساس ماديّ"، يقول كارل يونغ " Carl Jung" (1961م): "إذا اطّلعنا على الأمم السابقة فإنّنا سنجد أنّ الإنسان لديه غريزة التديّن وأنّ هذه الغريزة تؤثّر فيه بقوّة كتأثير غرائزه الجنسية"، ويقول صاحب كتاب الحسّ الدينيّ، لويجي جوساني "Luigi Giussani" (2005م): "إنّ الحسّ الدينيّ هو أحد عناصر الروح الإنسانية الثابتة والطبيعيّة وأكثر أقسامها أصالة وأشدّها ماهويّة وهو غير قابل للتبديل بأيّ واحد من الظواهر"(2)، وفي هذا رد على كل من ادعى بأنّ الدين قد صنعه الإنسان إرضاءً لبعض الحاجات الروحية أو استغلالاً للسذّج من بني البشر، كما أن فيه إثبات وجود حسّ التديّن في الإنسان، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: 30] لذلك: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10]، فكان أمر التدين والتصديق بوجود الله يتجاوز مجرد التكوين البيئي أو التأثير الخارجي في تخليق مثل هذه النزعة، بل هو مكون مركزي في الإنسان.

لكن هذه الفطرة قابلة للتأثر والتغير والانحراف بفعل مؤثرات خارجية وردت بها النصوص(3)، وذلك هو السبب في وجود الوثنيات السابقة في الأمم البائدة، واللاحقة في الأمم الحاضرة والقادمة، ويؤيد القرآن الكريم فساد الفطرة بما يسميه مرض القلب: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]، كذلك ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: 87]،وحكمة الله اقتضت جعل الفطرة بهذه الحال؛ ليتحقق الغرض من ابتلاء الإنسان بالخير والشر، ومن ثم جزاؤه على عمله؛ إذ لو كانت الفطرة قوية لا تتأثر بشيء لما وقع الكفر والانحراف في بني آدم، بل صاروا غير قابلين للكفر، فلا يتحقق الابتلاء، ولله الحكمة البالغة.

ولندرك أيضاً أن ظهور الأديان الباطلة في حياة البشرية، إنما هو استجابة لفطرة التدين والتعبد في النفس البشرية، فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله عز وجل، فإنه يُعبِّد نفسه لأي معبود آخر ليشبع في ذلك نهمته إلى التدين، وذلك كمن استبدَ به الجوع، فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه، فإنه يتناول كل ما يمكن أكله ولو كان خبيثاً ليسد به جوعته، وهذا ما يفسر لنا نزعة التدين عند عموم البشر وتلاقي الأديان على الفطرة، ومن عجائب هذه الفطرة كذلك أنها مرجحة للحق، فإذا تعرف الإنسان

(1) ظهر علم حديث يهتم بهذا الشأن اسمه "علم الأديان العصبي" يعرف بـ (Neurotheology) وهو مصطلح مركب من (Neuro) أعصاب، و(Theology) علم اللاهوت، وهو مجال بحثي يسعى للكشف عن طبيعة الصلة والعلاقة بين الجهاز العصبي في الإنسان وظاهرة التدين، وبات من المألوف في كثير من الدراسات حول هذه المسألة، التعبير عن فطرية التدين بأن الدين أشبه ما يكون قد تم تسليكه في الإنسان "Religion is hardwired in humans"، حتى بات مكونا صميميا فيه.

(2) هذه الآراء مأخوذة من كتاب «الإنسان ذلك المجهول»، ألكسيس كارل (ص 127 وما بعدها).

(3) الشياطين: وهي المؤثر الخارجي الأصلي والأول في هذا الأمر، كما دل على ذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: (...وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم). الأبوان: ويقوم المجتمع بدور الأبوين في حال فقدهما، وهذا المؤثر هو أقوى المؤثرات، وأخطرها؛ لشدة التصاق الأولاد بآبائهم وقوة تأثيرهم عليهم، وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد قدمت الشياطين على الآباء؛ لأن الشياطين هي المؤثر الخارجي الأول في انحراف الآباء أنفسهم. الغفلة: وهي المؤثر الثالث في انحراف هذه الفطرة، كما دلت على ذلك آية سورة الأعراف:( أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢]. ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف (18، 19).

على دينين حق وباطل، فإن الفطرة تميز بينهما، وتميل إلى الحق، بل يقع ذلك في قرارة النفس ويتيقن القلب منه، فإما أن يعلن ذلك ويلتزم به، أو لا يستجيب له بسبب هوى، أو خوف، أو إلف وتقليد ونحو ذلك من الصوارف عن الحق، كما قال عز وجل عن فرعون وقومه:﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل:14] (1).

## الأسئلة الوجودية:

تحاول الأديان منذ الأزل تفسير وجود البشر وعلته، بتقديم إجابات معقولة للأسئلة الوجودية الكبرى إلى معتنقيها، والإجابة على هذه الأسئلة قد لا تكون شائكة عند المؤمنين بالديانات السماوية مثل الإسلام؛ فهو يعطي إجابات ثابتة لا تتغير، لكنها قد تكون شَرَكًا شائكًا يوقِعُ الإنسان في تخبّطات وتساؤلات في محاولة إجابتها في المجتمعات اللادينية، أو التي تستبعد المكون الديني من تكوينها الفكري، لنجد أن هذه الأسئلة باتت معلّقة، أو وجد لها إجابات متعددة ومتغيرة، لذلك تنشأ نزعة نحو العدمية، ورؤية الوجود عبثاً لا غاية حكيمة منه.

ومهما يكن من تقدم عجيب في العصر الحاضر علمياً وصناعياً واقتصادياً واجتماعياً؛ فإن العقول في أوقات السكون والهدوء –عظيمةً كانت أو متواضعة، خيرةً كانت أو شريرة– تعود إلى التأمل في المسائل الأزلية، ويقض مضجعها إذا لم تستطع الإجابة عليها، إذ أن مهمتها أن تفسر للإنسان وجوده وتعطيه هدفاً ورسالة (2)، وهذه الأسئلة هي: من أنا "ما الإنسان"؟ من أين أتيت "من الصانع"؟ إلى أين سأذهب "ما الهدف"؟ ومن خلق هذا الوجود؟ وما صفاته؟ وما الواجب تجاهه؟ وما الحكمة من هذا الوجود؟ وما مستقبل العالم؟ وغيرها من الأسئلة المهمة، وتجذر دوافع هذه الأسئلة الوجودية في النفس البشرية، تحدث في داخل الإنسان أنواعاً من المشاعر العميقة: كالتعظيم لخالق هذا الكون الفسيح ومدبره، وتحدث الحب له؛ لكماله وإنعامه، وتحدث الخوف منه ومن الابتعاد عنه؛ لجلالته وعظمته، وتحدث في داخله التعلق به بالرجاء والأمل؛ لكمال قدرته وعلمه، وهذه المشاعر كلها مجتمعة تدفع بالإنسان إلى التعلق بالله، والتعبد له في كل الأحوال "التدين"(3).

ولا توجد أمة، ولا شعب، ولا مجتمع، إلا وضع لهذه الأسئلة، حلولا جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحولة(4)، فإن من طبيعة الإنسان أنه كائن متسائل ومستفهم، وباحث عن الحقيقة والحكمة، فالشعور بالسببية، والتطلع إلى البحث عن الغاية أمور متجذرة في النفس البشرية، لا تنفك عنها أبداً، فكانت حياته محاطة بأسئلة عميقة عن الوجود والغايات والحِكم، وليس من مصدر يمكن أن يجيب عن هذه الأسئلة بطريقة شاملة وشافية مثل الدين، ولا يمكن للإنسان أن يخفي هذه الأسئلة من حياته، ولا يمكنه أن يقلل من أهميتها وأثرها في معاشه، فليس له حلّ إلا أن يقدم لها جواباً واضحاً بيناً،

---

(1) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية د. سعود الخلف (ص 19–20).

(2 (ينظر: الدين، د. محمد دراز (ص84).

(3) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (3/ 136)؛ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (15/2)؛ ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان العميري (2/ 390).

(4) ينظر: الدين، د. محمد دراز (ص 83).

وإلا أضحت حياته مضطربة تعيسة فاقدة للمعنى، وقد أقر عدد كبير من العلماء الملاحدة وغيرهم بأن هذه الأسئلة لا يمكن للعلم أن يجيب عليها، ولا يستطيع الإنسان أن يقدم لها جواباً من خلال البحث في المعمل[1].

**التضحية من أجل الدين:**

يجد المتأمل في تاريخ الأديان، أن لكل ديانة مضحين كُثر، إما بالمال أو الوقت أو الدم، وما المعارك التي حدثت، أو الحضارات التي شيدت، والأوقات التي بذلت، إلا أوضح دليل على ذلك[2]، فالتاريخ البشري والدراسات الأنثربولوجية وعلوم النفس والسوسيولوجي وغيرها، تؤكد لنا بأن الدين مكون مركزي في سائر الحضارات والأمم، وما من شك في أن الجماعة أو الأمة التي يتخلق أفرادها بالتضحية والبذل، تكون قادرة على إنجاز أهدافها، وتحقيق آمالها وطموحاتها، والوصول إلى غايتها، كما أن هذه الجماعة أو الأمة تستعصي على أعدائها، ويُقذف مهابتها في قلوبهم.

على أن الذي يعنينا هنا ليس هو الوضع التقويمي لكل واحدة من هذه النزعات، وإنما هو دخولها جميعا في كيان النفس البشرية، فكما أننا لا نجد أمارة واحدة تدل على قرب زوال النزعة الفطرية أو الوجودية، كذلك لا نرى أمارة واحدة تشير إلى أن فكرة التدين ستزول عن الأرض قبل أن يزول الإنسان.

## المطلب الثاني: النزعة الخارجية للتدين في النفس البشرية:

إن معرفة الدين وتعظيمه لا يخلوان في غالب الأمر عن مظهر يتمثلان فيه؛ ولذلك لا تكاد تخلو حقيقة التدين عن عنصر عملي؛ لأن شرط التدين ليس الإيمان فحسب بل الإظهار، وفيما يلي ذكر أهم النوازع الخارجية الدالة على التدين:

**إلزام النفس بالتكاليف الدينية:**

لا يوجد دين دون التزام بتكاليف محددة –أعمال، طقوس، عبادات–، والتي تتطلب تضحيات كبيرة من أتباعه، كما ينكشف بها العناصر غير الملائمة في الجماعة[3]، ذلك أن الدين لا يقوم من دون اعتناق عبادة اجتماعية وممارستها، ومن الأمثلة على الطقوس الدينية: الصلوات في العديد من الديانات، ومراسم الزواج، ومراسم العزاء، والاحتفالات بالأعياد، والحج، وبناء المعابد، وغيرها[4].

---

(1) ينظر: قصيدة (الطلاسم)، ديوان ايليا أبو ماضي، نيويورك، (١٩١٩ م). (ص ١٩١)؛ رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي ونهاية عالقة في حضارة الغرب، سيد أبو دومة (ص ١٢٩ومابعدها)؛ ظاهرة نقد الدين، د. سلطان العميري (395/2-397).

(2) ومن أمثلة ذلك: التبشير بالنصرانية وما يصرف لها من أموال وأوقات، قال د. صالح الوهيبي: دخل العمل الكنسي في العالم في عام 2001م، فقد بلغ 15 تريليونا و500 مليار دولار منها 300 مليار دولار تخصص لشؤون العمل التنصيري و17 مليار دولار للإرساليات الأجنبية، وأشهر المنظمات التنصيرية التي تعمل في العالم الإسلامي. ومن الأمثلة كذلك: قتال اليهود في فلسطين، وخمس الشيعة، وعشر النصرانية، وما يبذله الفلاسفة من وقت في إثبات نظريات لها تعلق بما يدينون به. ينظر: المركز الدولي للأبحاث والدراسات medadcenter.com .

(3) لأن شرط التدين ليس الإيمان بل الإظهار، وقد يتقاطع مع الإيمان وقد لا يتقاطع.

(4) تطورت هذه الطقوس في بعض الديانات، من طقوس عبادة إلى مظاهر فنية مستقلة يظهر فيها تعاون الفنون من حيث العمارة والديكور والأزياء والأقنعة والخلفيّات المرسومة والنصوص المغنّاة بحركات إيمائيّة أو راقصة على ألحان الموسيقى. ينظر: تاريخ المسرح، فيتو باندولفي، الجزء الأول والثاني.

وحتى الدعوات اللادينية، وجدت صعوبة في إفراغ الحياة من هذه الطقوس، فاستبدلت بالأعمال الدينية طقوساً مثل: الاستعراض والحفلات والأعياد الحديثة، واحترام العَلَم والوطن وما شابه.

ولا يوجد دين من دون متدينين، حتى لو لم يكونوا مؤمنين، والحكم على شخص بأنه متدين، يكون بممارسات محددة تظهر للعيان -نسميها عبادة-، تجعله شخصاً متديناً من دون أن يعرف باطن إيمانه؛ لأن المتدين في نظر المجتمع من يظهر أنه مؤمن، أو يهتم أن يكون معروفاً بأنه مؤمن، ذلك أن للطقوس أثراً بالغاً في بقاء الأديان من الاندثار [1].

**الرابط الروحي وتماسك المجتمع:**

تربط الأديان بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر من الجنس، أو اللغة، أو الجوار، أو المصالح المشتركة، فتنعقد بها أقوى الوشائج وأدومها بين أفراد اختلفت أجناسهم، وتباينت لهجاتهم، وتباعدت ديارهم، وتفاوتت مصالحهم، فكل صاحب دين، يجد من نفسه موالاة من شاكله على دينه، ومعاداة من كان على دين آخر، فهو جانب نفسي عظيم، والمتأمل يجد أن عقيدة الولاء والبراء تنساب إلى كل الديانات بل لا تكاد تفتقدها[2]، فالموافقة والمناصرة والمعاونة والعلاقات الاجتماعية، والرضا بأفعال من يواليهم واضح في وسط كل ديانة؛ ويتضح جلياً بأن الدين يولِّد عقيدة "الولاء والبراء"[3].

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله(1293هـ): "أصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال، والوليّ ضدّ العدو"[4]، وقد عرّفها كثير من العلماء بقولهم[5]: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً، والبراء: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

وجملة القول: أن الأديان تحل من الجماعات محل القلب من الجسد، وأن الذي يؤرخ الديانات كأنما يؤرخ حياة الشعوب، وأطوار المدنيات.

---

(1) ينظر: الديانات في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار (189/1)؛ دراسات نقدية لفلسفة الدين، أديب صعب (ص53).

(2) هناك من يعاندون الحقائق ويتنكرون لهذا الأصل الواضح، لما له من أثر من وجهة نظرهم في صناعة العداوة بين الناس، بدل الألفة والتوافق.

(3) الدين، د. محمد دراز (ص102).

(4) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة من علماء نجد (325/2).

(5) ينظر: الفرقان، ابن تيمية (ص 53)؛ شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (ص 403)؛ تيسير العزيز المجيد، سليمان بن عبد الله (ص 480)؛ الدرر السنية في الأجوبة النجدية (309/7)؛ الموالاة والمعاداة، محماس الجلعود (ص 27-31)؛ مجموعة التوحيد، ابن تيمية، محمد بن عبدالوهاب (ص 19).

## سلطة الدين على النظريات والمعارف:

نجد أن لنظريات بعض العلماء تعلقاً بعقائد الدين الذي يدينون به[1]، مما كان له الأثر الواضح في أفكارهم وعلى نتاجهم المعرفي، **فصِلة الفكر العلمي بالفكر الديني السابق عليه**، يؤكدها الفيزيائي روبرت أوبنهايمر "Robert Oppenheimer" (1967م) صاحب الباع الطويل في صنع أول قنبلة ذرية، بقوله: "إن ما أدت إليه اكتشافاتنا في عالم الفيزياء النووية من مفاهيم وأفكار حول طبيعة الأشياء، ليست جديدة تماما، فإضافة إلى كون هذه الأفكار ذات تاريخ في حضارتنا الغربية، فإنها تتمتع بمكانه مركزية وهامة في الفكر البوذي والهندوسي، ولعلنا نستطيع القول بأن الأفكار الجديدة عبارة عن وثيقة مصدقة عن الحكمة القديمة، ونسخة مشذبة عنها"[2]، ويقول نيلز بوهر"Niels Bohr " (1962م)، وهو واحد من أهم مؤسسي فيزياء الكم: "إذا شئنا العثور على مواز للدرس الذي تعطينا إياه الفيزياء النووية، علينا أن نلتفت إلى تلك المشكلات المعرفية التي واجهت من قبل مفكرين من أمثال البوذا ولاوتسي، والتي تتضمن من جملة ما تتضمن وضعنا كمشاهدين وممثلين في دراما الوجود الكبرى"[3]، أما فيرنر هايزنبرغ "Werner Heisenberg " (1976م) صاحب تفسير كوبنهاجن المشهور في فيزياء الكم، فيقول: "إن الإسهام العظيم، الذي قدمته اليابان مثلا في الفيزياء النظرية بعد الحرب الأخيرة، يمكن أن يعتبر دليلا على وجود قرابة بين الأفكار التقليدية في الشرق الأقصى، وبين الجوهر الفلسفي لنظرية الكم، وقد يكون التكيف مع المفهوم الكمومي للواقع أيسر، عندما ينجو المرء من تأثير الأفكار المادية الساذجة التي استمرت تسيطر على أوربا حتى العقود الأولى من القرن العشرين"[4]، وكذلك بالنسبة للتأليف والتدوين فكل الطوائف يصنفون الكتب لنصرة مذاهبهم[5].

## الدين وروح الحضارة الإنسانية:

ما ظهر على الأرض نوع من أنواع التمدن، إلا ورافقه صنف من أصناف التدين، ذلك أن الحياة في الجماعة لا قيام لها إلا بالتعاون بين أعضائها؛ وأن هذا التعاون إنما يتم "بقانون" ينظم علاقاته، ويحدد حقوقه وواجباته، وأن هذا القانون لا غنى له عن "سلطان" نازع وازع، يكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته، فكل الحضارات لا بد أن تحوي أنظمة وقوانين إلا أنها نابعة من مُعتقد، بدليل أن كثيراً من القوانين الوضعية التي يحكُم بها جل بلدان العالم المعاصر،

---

(1) أمثال: ألبرت أينشتاين "Albert Einstein" (1955م) "اليهودي" في نظريتيه النسبية العامة، والنسبية الخاصة، ونظرية المجال الموحد، وتشارلز روبرت داروين "Charles Robert Darwin" (1882م) "المسيحي ثم الملحد" في نظريته، وستيف هوكينج "Stephen Hawking" (2018م) في نظريته الانفجار العظيم، ونيكولاوس كوبرنيكوس "Nicolaus Copernicus"(1543م) "المسيحي" في نظريته مركزية الشمس، وجوردانو برونو " Giordano Bruno"(1600م) "المسيحي" في نظريته علم الكون الفيزيائي، هؤلاء كانوا متدينين مؤمنين، وغيرهم كثير.

(2)العلم والفهم المشترك، روبرت أوبنهايمر(ص 8، 9). نقلا عن دين الإنسان، فارس السواح (ص21).

(3)الفيزياء الذرية والمعرفة البشرية، نليز بوهر (ص 20)، عن دين الإنسان، فارس السواح (ص22).

(4) فيزياء وفلسفة، فيرنر هايزنبيرغ (ص 125)، نقلا عن دين الإنسان، فارس السواح (ص22).

(5) ينظر: مصباح الظلام، في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ص 64).

والشرائع الخاصة بالزواج والطلاق والحضانة والميراث(1)بل حتى في الوظائف الحساسة(2)، مستقاة من الدين الذي تدين به، فالمعتقد بشكل ظاهر أو خفي يقوم بتشكيل الحضارة ومحتواها القانوني، وليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه. من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والإنصاف؛ وكان لذلك ضرورة اجتماعية، كما هو فطرة إنسانية.

وإذا نظرنا إلى "الدين" من حيث هو عناية بالناحية العملية الاجتماعية، نجد أثر الديانات على الأخلاق في هذه الحضارات، فكثيراً ما يظهر في التاريخ نظم أخلاقية لا تجري على سنن واحدة في العصور والبيئات المختلفة، فأخلاق كل شخص إنما تنبع من قناعاته ومعتقداته(3).

إن لتاريخ الأديان والمذاهب عموماً نزعتين كونيتين للصراع والتضاد، تتولد عنهما مذاهب وديانات جديدة في الماضي، وأفكاراً فلسفية في الماضي والحاضر، الأولى: هي الصراع بين تأكيد البعد الإيماني الروحاني "بدرجات" من جهة، وتأكيد الالتزام بالعقيدة والشعائر والطقوس "بدرجات أيضاً"، ولو شكلاً ومظهراً، من جهة أخرى. والثانية: هي الصراع بين تأكيد البعد الأخلاقي الدافع إلى الإحسان والامتناع عن فعل الشر، ما يقود عادة إلى الصراع مع التبرير الديني لأفعال قبيحة، من جهة، وتأكيد البعد العقدي والتعصب له من جهة أخرى.

## المبحث الثالث: ملازمة التدين للحياة البشرية.

التدين ملازم للحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى، وليس أمراً طارئا عليها أو لاحقاً بها، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [سورة الروم:30]، وقد تظافرت الدلالة التاريخية على أن للجماعات البشرية المتحضرة وغير المتحضرة ديناً تدين به، وتضبط كثيراً من نواحي حياتها وفْقَه، كما توصل عدد من الدارسين إلى أن هناك شواهد تاريخية وأثرية من الأحافير وغيرها، تدل على أن الدين ملازم لكل المجتمعات الإنسانية(4)، وفي ذلك دلالة واضحة على أن البشر ما انفكوا عن رسل يدعونهم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿

---

(1) كما هو موجود في قانون الأحوال الشخصية العالمي، ومحتوى قانون الأحوال الشخصية يمكن عرضه في ثلاث نقاط:

1- كل ما يتعلق بالزواج وأحكامه وما يترتب عليه من مهر ومسكن ونفقة ونسب وأحكام الأهلية والحجر والوصايا وأنواعها. 2- كل ما يتعلق بالطلاق وأحكامه وآثاره من نفقة وعدة وغيرها. 3- كل ما يتعلق بأحكام الإرث، وفي الفقه يطلق عليه أحكام الفرائض. ينظر: محاكم الأحوال الشخصية في نظام القضاء السعودية، راشد عبد الله الرشود (ص 98-104).

(2) الوظائف الحساسة ينتقى لها أصحاب الديانات لتمرير ديانتهم، فنلحظ أنه يوجد في دستور إيران أنه لا يحكمها إلا إثني عشري، ويوجد في عمان أن رئيسها لا بد أن يكون إباضياً، وفي اليمن لا بد من أن يكون زيدياً وهكذا.

(3) الطبقية في الديانات تكون بدافع ديني، وهي توجد عند الهندوسية والباطنية والدروز والصوفية، وكذلك المرأة ترى أنها مخلوقه للمتعة لا للتكليف فتفعل هذا بتأثير ودافع ديني، وغير ذلك من تأثير الديانات على الأخلاق.

(4) ينظر: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، إلياد مرسيا (9/1)؛ في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، الشرقاوي محمد عبد الله، (ص11).

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ النحل [النحل:36]، وقال عز وجل أيضاً: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]، وهذا يدل على أن التدين ملازمٌ للمجتمعات البشرية، في كل مراحلها التاريخية والحضارية، وفيما يلي بيان ذلك:

## المطلب الأول: ظاهرة التدين.

الإنسان بطبيعته أسير لأفكاره ومعتقداته[1]، فكان للدين تأثير ظاهر على نظرته للوجود والحياة والمجتمع من حوله، وعلى أساس ذلك صيغت الأنظمة والقوانين ووضعت القواعد والقيم والموازين، بحيث تتوافق معتقدات البشر مع أعمالهم؛ لأن الدين عنصرُ ضروري لتكميل القوة النظرية فيهم، فبه وحده يجد العقل ما يشبع نهمته، ومن دونه لا يحقق آمالهُ العليا، فعقائد البشر هي التي تسيرهم وتحكمهم، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها.

ولأن الدين قضية مرتبطة بالإنسان أيا كان وضعه في هذا العالم، وأيا كان مستوى الرفاهية التي حققها، فلا توجد أمة بغير دين، يقول هنري برجسون" Henri Bergson " (1941م) "لقد وُجِدَتْ وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة"[2]، ويقول سيغموند فرويد "Sigmund Freud " (1939م): "لا أتصور بديلاً للدّين، فتلك حاجة يجب إعلاؤها"[3].

ودعوى اختفاء الأديان، أمر لا يمكن قبوله أو توقعه؛ لأن الأديان ستبقى قطباً أساسياً في الحياة، بسبب ما يمكن أن تمنحه للإنسان من توازن، ولأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، يقول الفرنسي أرنست رينان " Ernest Renan" (١٨٩٢م) "إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقي حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الإنسان في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية"[4]، ويقول سلمون ريناك "Salmon Rainac" (1932م): "ليس أمام الديانات مستقبل غير محدود فحسب؛ بل لنا أن نكون على يقين من أنه سيبقى شيء منها أبداً؛ ذلك لأنه سيبقى في الكون دائماً أسرار ومجاهيل، ولأن العلم لن يحقق أبداً مهمته على وجه الكمال"[5]، ويقول الدكتور ماكس نوردوه"Nordau Miksa" (1923م) عن الشعور الديني: "ستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستتطور بتطورها، وستتجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة"[6]، ويقول كارين

---

(1) الإنسان مقود أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة، فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء؛ وإن فسدت فسد كل شيء، فأعمال الناس تأتي نتيجة لما في نفوسهم من المعتقدات والأفكار والتصورات، وهذا كما يقع للأفراد يقع كذلك لأي أمة من الأمم، إذا حملت أفكاراً، فالعقيدة التي يحملها الإنسان في صدره ذات أثر كبير في سلوكه، وقد قيل: كل إناء بما فيه ينضح.

(2) ينظر: منبعا الأخلاق والدين هنري برجسون (ص 123) نقلا عن الدين، د. محمد دراز (81-84).

(3) رسالة إلى يونغ بتاريخ 13 شباط/ فبراير 1910م.

(4) ينظر: الدين، د. محمد دراز (٨٧-٨٣).

(5)سالمون ريناخ أورفيوس (ص 6-35)، نقلا عن الدين، د.محمد دراز (ص 88).

(6) رد ماكس نوردوه على مركيور دو فرانس، نقلا عن الدين، د.محمد دراز (ص 88).

أرمسترونج "Karen Armstrong": "العالم يشهد صحوات دينية، خلافاً للتوقعات العلمانية الواثقة في منتصف القرن العشرين، **الدين لن يذهب**"[1].

**وهكذا** نرى الظاهرة الدينية تتبدى في ثلاثة أشكال هي: الدين الفردي، والدين الجمعي، والدين المؤسساتي، فنجد أن الدين الفردي أمر ذاتي، لا يمكن مراقبته ووصفه من الخارج، بينما تتحقق المشاركة والتعبير عن التجارب الخاصة في تجربة عامة تسمى الدين الجمعي، وهو التبدي الثاني للظاهرة الدينية، فهنا تتعاون عقول الجماعة وعقول أجيال متلاحقة، على وضع صيغة مرشدة لتجربتها، والإشراف على الطقوس الدينية، والتوسط بين العالم الدنيوي والعوالم القدسية[2]، ليقوم البعض منهم بتسييس الدين واستخدامه أداة ضغط وتسلط، سواء من قبل السلطة الزمنية، أم من قبل أية شريحة أو فئة تجعل من نفسها قيما على دين الناس ومرجعا أعلى لتفسيره والعمل بموجبه.

وبما أن الدين ظاهرة سوسيولوجية، فلا بد أن يتفاعل مع العصر الرقمي لما يحتوي عليه من إمكانيات التحول، لذا فإن كل التطورات التكنولوجية لها تأثير على الدين، وذلك عن طريق وجود فضاء ديني -روحي جديد يمكن أن تُمارس فيه كلّ مكوّنات الدين الرئيسة[3]، ويسيطر على المشهد بروز ما يمكن تسميته الدين الرقمي، ليشهد بذلك التدين الرقمي أشكاله الخاصة من الإيمان الافتراضي، والجهاد الافتراضي، والتعبد الافتراضي، من أجل الإشباع الحقيقي للسلطة الدينية، وهذا ما أكّده البابا جون بول الثاني" Pope John Paul II " (2005 م) ، عندما صرح بأن الكنائس، ومجموعات الإيمان، التي ترفض التكيف مع عصر الاتصالات الإلكترونية لن تبقى على قيد الحياة[4]، لكن النت سيكون فضاء إضافياً للأنشطة الدينية، ولن يحتل الفضاءات الموجودة، **السؤال الحاسم هل ستظهر أديان رقمية؟ وكيف ستكون؟ وكيف ستنتشر؟**

## المطلب الثاني: ضرورات التدين:

من الهداية العامة التي جعلها الله لكل البشر، أنه ما من أمة إلا ولها علم وعمل بحسب ما تقوم به مصالحها[5]، وأما الهداية الخاصة فقد أرسل الله للبشرية كثيراً من الأنبياء يدعون أقوامهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر:78]، **والبشرية دائماً في حاجة إلى** الدين لضبط كثير من نواحي حياتهم

(1) قضية الإله، كارين أرمسترونج (ص 9)، نقلا عن العودة إلى الإيمان، د.هيثم طلعت (ص 25).

(2) ينظر: دين الإنسان، فارس السواح (ص31-41).

(3) من معتقدات، وأساطير، وطقوس، وشرائع وغيرها، بل يمكن أن تكون هناك طقوس عملية، وهذا قد يؤدي إلى نشوء دور عبادة شبكية مساجد، أو كنائس، أو معابد شبكية تمارس الطقوس فيها جماعياً في وقت محدد.

(4) ينظر: سوسيولوجية الأديان الرقمية، عبد النور إدريس. موقع مركز النور http://www.alnoor.se/.

(5) قال تعالى:(سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى) [سورة الأعلى:1-3]. ينظر: الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح (6/ 5).

وفْقَه، فحاجة الإنسانية إليه فوق كل حاجة، وفاقتها إليه تعلو كل فاقة؛ **لأنه ضرورة** للفرد وللجماعة وللإنسان والحيوان والنبات والجماد، ضرورة عقلية، ونفسية، وروحية، وسياسية، وأخلاقية، وكونية ...إلخ.

أما كون التدين **ضرورة عقلية**، فلأن الإنسان في طبيعته كائن متسائل ومستفهم، وباحث عن الحقيقة والحكمة، فالشعور بالسببية، والتطلع إلى البحث عن الغاية أمور متجذرة في النفس البشرية، لا تنفك عنها أبداً، كما يجب أن تكون جميع مكونات الدين متسقة مع الضرورات العقلية ومقتضياتها، وفي بيان هذا المعنى يقول ابن تيمية (728هـ):" إن الرسول لا يجوز عليه أن يخالف شيئاً من الحق، ولا يخبر بما تحيله العقول وتنفيه"(1)، "ولا يجوز قط أن يختلف الكتاب والميزان -الدين والعقل- فلا يختلف قط أن الأدلة الصحيحة النقلية تخالف الأدلة الصحيحة العقلية"(2).

**والتدين ضرورة نفسية**، لتكميل قوة الإرادة، التي يمدها بأعظم البواعث والدوافع، ويُدَّرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط، يقول وليم جيمس الفيلسوف الأمريكي "William James "(1910م): "إن أعظم علاج للقلق هو الإيمان"، ويقول ديل كارنيجي "Dale Carnegie "(1955م): "إن أطباء النفس يُدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي"(3)، وقد تكاثرت الدراسات العلمية الحديثة حول علاقة التدين بالصحة النفسية للإنسان وشعوره بالأمن الروحي، وتظافرت نتائجها على تأكيد أن للدين أثراً عميق التأثير في تحسين الصحة النفسية للإنسان، وفي تحقيق الأمن الروحي له وكذلك ظهرت دراسات كثيرة حول أثر القيام بالشعائر التعبدية، كالصلاة والصيام والذكر وغيرها، وخرجت بنتائج تؤكد الأثر الإيجابي العالي لممارسة تلك الشعائر في تخليص الإنسان من الاضطرابات النفسية، كالقلق والعزلة والاضطراب النفسي والوسواس وغيرها (4).

والتدين **ضرورة روحية**، فقد لاحظ كثير من الباحثين في مجال الأديان هذه الضرورة الروحية وعبروا بأن الإيمان بالله ضروري، ليس من أجل الرعاية المادية بالرزق والحفظ، بل لإشباع العاطفة الدينية، وإرضاء الشعور بالحب نحو الإله(5)، فإن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوى الله تعالى أبداً، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له وعبادته وحده فهو دائماً يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح

---

(1) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (5/ 296).
(2) الرد على المنطقيين، ابن تيمية (ص 373).
(3) دع القلق وابدأ الحياة، دل كارينجي (ص 62)؛ القلق قيود من الوهم، د. عبدالستار إبراهيم (ص 13).
(4) ينظر: العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام، صالح إبراهيم الصنيع، مجلة جامعة الملك سعود، العدد (14) (ص 207-234)، والتدين والصحة النفسية، مصطفى كويلو، مجلة حراء، العدد (14) (ص 24-29)، نظرات في الحالة الإلحادية من الناحية النفسية، أبو حب الله، مجلة براهين (46/1).
(5) ينظر: الإنسان والأديان دراسة مقارنة، د. محمد كمال جعفر (ص٧٣) وما بعدها.

الحياة، ويذوق طعمها[1]، عليه فلا يمكن أن يوجد إنسان صحيح، وشخصية إنسانية سوية؛ إلا بغذاء الروح، وليس للروح غذاء إلا في الدين.

والدين **ضرورة اجتماعية**، فقد وجدت الجماعات البشرية في الدين حصناً من الفناء وسبيلاً إلى البقاء، ففي الدين تكوين الأسرة، وتشجيع الزواج، ورعاية الأبناء، وبر الآباء، فلا توجد جماعة إنسانية دون دين أي دين[2]، والدين بما يشتمل عليه من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق يمثل في جوهره نظاماً اجتماعياً، ينظم العلاقات ويحدد الحقوق والواجبات بين أفراده، فكانت النظم الدينية هي أهم النظم الاجتماعية على الإطلاق[3]، وفي هذا المعنى يقول معجم لاروس للقرن العشرين: إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية، يقول فولتير "Voltaire" (١٧٧٨م) ساخراً من الملاحدة الماديين: لم تشككون في الله، ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي![4] فكان وجود الأديان ضرورياً، لكي يتكون المجتمع، وتتكون الحضارة، بينما غيابه سيؤثر في أمرين أساسين هما: "الأخلاق"، و"وقوة الفرد السلبية"، وسيُطلق هذان الماردان السلبيان داخل الجماعة والفرد، وهو ما سيكسر الحضارة ويدمرها.

والدين **ضرورة أخلاقية**؛ لأن ثمرة أي دين هو الأخلاق، فكل ما تهدف إليه الأديان من عقائد وعبادات ومعاملات؛ تحقيق مكارم الأخلاق! فرسالة كل دين –في الأساس– رسالة أخلاقية! قال ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)**[5]، ومهما جرّدنا الدين من مقدّساته فإن الأخلاق تبقى أحد أكبر منجزاته[6]، ولا ينافسه فيها طرف آخر، فأخلاق كل شخص إنما تنبع من قناعاته ومعتقداته؛ لأنها أصبحت باباً من أبواب القربات والعبادات الإلهية، فضلاً عن كونها تلبية لداعي الفطرة السليمة.

والدين **ضرورة اقتصادية**، فقد أتت الديانات بالترغيب في الكسب، وتعظيم قيمة العمل، وتقدير أصحاب الحرف والمهن المختلفة، وأمرت بالتزام طرق التحصيل، ووسائل التنمية واستثمارها؛ ولأن التملك والاقتناء غريزة بشرية، فقد كانت الأديان وقاية من الوقوع في المآثم التي تنطوي على فتنة المال وإغرائه، فحرمت أكل أموال الناس بالباطل، بأي صورة من

---

(1) ينظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم (72/1).

(2) ينظر: منبعا الأخلاق والدين هنري برجسون (ص 123) نقلا عن الدين، د.محمد دراز (81-84).

(3) ينظر: الدين، د. محمد دراز (ص١٠١-٨٠).

(4) ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (214/38).

(5) أخرجه الحاكم في مستدركه (2 / 613) حديث رقم (4244)، كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في دلائل النبوة؛ والبيهقي في سننه الكبير (10 / 191) حديث رقم (20839) كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها؛ وأحمد في مسنده (2 / 1879) حديث رقم (9074) ( مسند أبي هريرة رضي الله عنه)؛ وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي.

(6) ينظر: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن (ص102)، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، د. أحمد الحليبي (ص410).

صور الاستغلال والغش، وأوجبت الرفق بالعمال والخدم ونحوهم، والأمر بإعطائهم أجورهم، وفي المقابل أوجبت على العمال إتقان عملهم، والتحذير من الإهمال أو التقصير، أو غياب الوازع الديني، الذي يدفع العامل إلى الوفاء بالمطلوب؛ لاستشعاره مراقبة الله تعالى[1]، بينما تفاوتت في نظرتها للثروة والأموال والموقف من جمعها، وسبل وغايات إنفاقها؛ حيث حمل كل دين منها ملامح وسمات وقواعد خاصة للتعامل معها، من أوامر ونواه ومستحبات.

وقد مثلت الرهبنة البوذية أولى الدعوات الكبرى للزهد في متاع الحياة، وحرمان النفس من الثروة، وهذه النظرة سادت عديداً من الأديان أخرى، واشتهرت في الأديان الآسيوية، بينما دعت اليهودية أتباعها للتمتع بالحياة، ولكن هذه الدعوة لم تأتِ على المستوى الفردي، وإنما هي تدعو لذلك في إطار القوم والجماعة[2]، وبالانتقال إلى المسيحية نجد ضرورة اجتناب أتباعها للحياة الدنيا وإهمال شأنها والاهتمام بالحياة الآخرة[3]، وأما الإسلام فقد اعتبر المال والثروة بمثابة منح وعطايا من الله، ينبغي شكره عليها، كما ذهب إلى اعتبار الرزق والعطاء بمثابة استخلاف من الله، ومن ذلك قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7]، وقال سبحانه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: 33].

والدين **ضرورة سياسية**، في إقامة العدل، واجتناب الظلم، وإشاعة الحب بين الحاكم والمحكوم، وتماسك المجتمع، واستقرار نظامه، ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأنه يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست القوانين ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما في إقامة دولة فاضلة، تحترم فيها الحقوق وتؤدى فيها الواجبات على وجهها الكامل، فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من القانون، لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلته[4]، يقول دوستويسكي"Dostoyevsky" (1881م) عن هذا المعنى بعبارة صريحة: "إذا لم يكن الله موجوداً فكل شيء مباح"[5]، وهذا يؤكد أن عدم الإيمان بالله يؤدي إلى انتهاك القوانين الأخلاقية وذوبانها في المجتمع، من أجل ذلك كان التدين خير ضمان

---

(1)منهج الاقتصاد الإسلامي في إنتاج الثروة، أحمد لسان (1/ 239).

(2) الجماعة اليهودية هي المنحدرة من نسل يعقوب وابنه إسحاق؛ حيث تدعو وتبشر التوراة بإقامة بني يعقوب مملكتهم والتي تجعلها بمثابة الشرط والغاية لإتمام الخليقة وإنهاء التاريخ، ونجد ذلك صريحاً في نبوءات دانيال في سفر دانيال، وقوله: "والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسي العلي ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويُطيعون" (الإصحاح السابع، 27).

(3) ومن ذلك قوله: "بع أملاكك وأعط ثمنها للفقراء وتعال اتبعني. فلم يقبل الشاب، فقال يسوع: يعسر أن يدخل غني ملكوت الله، ولَدخول الجمل في ثقب إبرة أيسر من دخول الأغنياء ملكوت الله" (متى، الإصحاح 19، 21-22)، وقوله: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يوحنا، 18، 36)

(4) ومن أمثلة ذلك: حالات النهب والسرقة التي انتشرت بين أحياء مدينة "نيو أورلينز" رغم الكارثة التي حلت بالأمريكيين جراء إعصار كاترينا المدمر، فنهب مول "وال مارت" الكبير في مدينة نيو أورلينز بالكامل، وحدثت عمليات النهب على مرأى من أعين رجال الشرطة والحرس الوطني الذين لم يستطيعوا فعل أي شيء لإيقافه. ذلك أن المجتمع الأمريكي مقموع بهيبة الدولة الأمريكية وليس بأدواتها كالأنظمة المتخلفة، بمعنى أنه عندما يغيب أي مظهر من مظاهر الدولة سواء أكان ذلك كهرباء أو مياه أو دوريات أو كاميرات أو مراقبة؛ تدب الفوضى وتبدأ عمليات الغوغاء والسلب والنهب والاغتصاب... الخ، وهذا هو الفرق بين هذه المجتمعات والمجتمعات الشرقية والإسلامية التي تلتزم بمراقبة ذاتية وأخلاقية ودينية في مجملها. فغياب الكهرباء لا يشكل فرقا عندها ولا ينشر الفوضى والنهب والسلب، وكذلك الأمر في جميع مظاهر الدولة وتواجدها وليس ضروريا أن يكون هناك دورية في كل شارع وحي؛ حتى يكون هناك أمان والتزام. ينظر: صحيفة "ذا تايمز بيكاوني" https://www.thetimes.co.uk/

(5) رسالة في التسامح، جون لوك (ص 114).

لقيام التعامل بين الناس على أساس العدل، وحماية الدولة من الفساد أيا كان شكله: اجتماعياً أو اقتصادياً أو أخلاقياً أو إعلامياً أو تعليمياً، وبالتالي كان الدين ضرورة سياسية.

وأخيراً فإن **الدين ضرورة عسكرية**؛ فالحرب ضرورة تفرضها تصادم المصالح، وتعارض الرغبات بين المجتمعات، وحين يشتد النزاع، وتفرض الحرب نفسها، ولا مفر منها، بعد فشل جميع محاولات السلام حينئذ يكون للدين ضرورته؛ حيث يزود الدين أتباعه بأسباب التضحية وعوامل الفداء، بما لا يمكن لأي قوة أن تقدمه أو تفعله، فالعامل الإيماني، والوازع الديني أهم أسلحة النصر، ولقد عرف ذلك قادة الحرب أكثر من غيرهم، قال روبرت ميلليكان "Robert Millakan" (1953 م) العالم الطبيعي الأميريكي: "إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق، ولقد كان زوال هذا الإيمان سببا للحرب العامة"[(1)]، وقول المارشال مونتجومري"Montgomery" (١٩٧4م) في خطبته أمام الجيش الثامن يوم 4 مارس ١٩٠١: "إن أهم عوامل الانتصار في الحرب هو العامل الديني؛ ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم في العمل، إلا إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى ما يعملونه، ويقيني أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله سار على غير هدى، إن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش أعظم من خطر العدو؛ ولذلك لا نستطيع أن ننتصر في معركة إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء"(2).

ونخلص إلى أن للدين دوراً إيجابياً في بناء الحضارة المعاصرة، وذلك **بتحقيق نوع من الأمن الروحي**، فربما تساهم الصلوات والابتهالات واليقين بوجود حياة بعد الموت في تحقيق طمأنينة القلب وهدوء النّفس، ما قد ينعكس إيجاباً على مستوى الأمن العام، كذلك **التحكم في الغرائز**، فيمكن أن يساعد الصوم والزواج والاختلاط في شعائر الحج على سبيل المثال، على ضبط الشهوات الغريزية، ما قد يساهم في سمو النفس وتهذيب سلوك الناس، أضف لذلك **تقوية نسيج التضامن الاجتماعي**، فإنّ أعمال الخير والإحسان والصدقة والزكاة، فضلاً عن مفاهيم التضحية والغفران، كل ذلك قد يساهم في تقوية قيم التكافل والتضامن داخل المجتمع، أو هذا هو المأمول، من دون أن ننسى كيف كانت الأديان أثناء الحرب الباردة على الشيوعية سلاحاً روحياً في مواجهة الشيوعية، وهذا ما جعل الرهان على الأديان يبدو في بعض الأحيان كأنه رهان على الحرية أيضاً (3).

**خاتمة**

الْحَمد لله الَّذِي بنعمته تتمّ الصَّالِحَات، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على خير خلقه نَبينَا مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وعَلى آله وَصَحبه وَسلم، وَبعد.

فقد جرى الْعرف العلمي أَن تكون فِي نِهَايَة البحوث والكتب خَاتِمَة يعرض فيها خلاصة الْبَحْث وثمرته، وَقد تبين من خلال دراستي للجانب العقدي أَن للتدين أبلغ الأثر على النفس البشرية، ذلك أن قضية التدين، أو تقويم الحياة بنهج

(1) نقلا عن كتاب: الدين والعلم، للمشير أحمد عزت باشا (ص ١٧٣).

(2) ينظر: بحوث في الدعوة الإسلامية: الأزهر الشريف- بمناسبة العيد الألفي- القاهرة (1403هـ -1983م) (ص268)؛ نظرات في دراسة الأديان، أ.د. عبد الله سمك (ص21- 42).

(3) ينظر: دليل التدين العاقل، سعيد ناشيد (119-123).

الدين، هي نزعة فطرية ملازمة للوجود الإنساني، لا يمكن تصور إنسان بدونها، مهما كانت صورة ذلك التدين، الذي اختاره بنفسه، أو ورثه عن مجتمعه، أو نقله عن مجتمعات أخرى، وقد يلتقي بهداية الدين القويم، ويستقيم بشرع الله، وقد يضل طريقه، متخذاً أرباباً من دون الله، ومن لم يكن عبداً لله فهو عبد لسواه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ سورة الجاثية:23].

وبعد أن تكفل الله بحفظ هذا الدين، وطالما أن هناك إنساناً في هذا الكون، يمتلك أهلية الاختيار، ولا بد له من منظومة قيم، يؤمن بها، ويصدر عنها في القبول والرفض، والإقدام والإحجام، فإصابة **الأمة** اليوم، تكاد تنحصر في منهج ووسائل دعوة الأمم لهذا الدين القويم، خاصة وأنه ناسخ لباقي الأديان والشرائع السابقة، ومهيمنٌ على جميع الملل والنحل والمذاهب، بل لا يقبل الله غير الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والدعوة إلى الله وظيفة الرسل عليهم السلام والتابعين لهم من الأمة الأعلام ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأُؤكد أن ما قُمْتُ به مجرد محاولة متواضعة قدمت فيها بقدر ما أتيح لي من جهد، ووقت، ومادة علمية، ما أعتبره دعوة مخلصة للقادرين على معالجة مثل هذا الموضوع، وإيجاد الحلول السليمة، والوسائل النافعة، والمخارج الآمنة، لتضيء الطريق أمام الدعاة إلى الإسلام.

## قائمة المراجع


- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، 1973م.
- الاجتماع الديني، الخشاب، مكتبة القاهرة الحديثة، ط3، 1970م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د. ط)، (د، ت).
- آفات النفس، نعيمة عبد الله البرش، رسالة ماجستير، قسم التفسير بكلية أصول الدين، جامعة الإسلامية-غزة، 1429هـ- 2008م.
- الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كارل، ترجمة: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 2003م.
- الإنسان والأديان دراسة مقارنة، د.محمد كمال جعفر، دار الثقافة، قطر، ط1، 1406هـ- 1985م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (1205هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1965م.
- تاريخ البشرية، أرنولد توينبي (1975م)، ترجمة: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، (د. م)، ط1، 2004م.
- تاريخ التفكر بالإله، مارسيل روبي، تحقيق: سعيد الباكير، دار علاء الدين، ط1، 2017م.
- تاريخ المسرح، باندولفي فيتو، ترجمة: الأب الياس زحلاوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د. ط)، 1979-1981.
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، إلياد مرسيا (1986م)، ترجمة: عبدالهادي عباس، دار دمشق، دمشق، ط1، 1986م- 1987م.

- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، (د. ط)، 1984 هـ.
- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري (1276هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ -2002م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (816هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ -1983م.
- تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (د. م)، ط2، 1420هـ – 1999 م.
- تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ.
- تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ.
- تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن"، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، (310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (د. م)، ط1، 1420هـ – 2000م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، (بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة. (د. ط) (د. ت).
- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964 م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، (1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (1233هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط1، 1423هـ-2002م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (728هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ- 1999م.
- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (728هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411 هـ – 1991 م.
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف (معاصر)، أضواء السلف، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط1، 1418هـ-1997م.
- دراسات نقدية لفلسفة الدين، أديب صعب (معاصر)، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2015م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة من علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: السادسة، 1417هـ-1996م.
- دع القلق وابدأ الحياة، دل كارينجي (1955 م)، ترجمة: عبدالمنعم محمد الزيادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط35، 2000م.
- الدكتور رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي ونهاية عمالقة في حضارة الغرب، سيد أبو دومة (2009م) مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1409هـ- 1989م.
- دليل التدين العاقل، سعيد ناشيد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2017م.
- الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار (1411هـ)، (د. ن)، مكة المكرمة، ط1، 1401هـ-1981م.
- دين الإنسان، فارس السواح (معاصر)، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة- سوريا، دمشق- ط 4، 2002م.
- الدين المقارن، د. محمد كمال جعفر، دار الكتب الجامعية، (د. م)، (د. ط)، 1970م.
- الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان، د. محمد دراز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة. (د. ط)، (د. ت).
- الدين والتدين، أحمد حسن الباقوري، (1985)، مؤسسة أخبار اليوم – قطاع الثقافة، (د. م)، (د. ط)، 1984م.
- الدين والعلم وقصور الفكر البشري، د. محمد الحسيني إسماعيل، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط1، 1999م.

- الدين والعلم، المشير أحمد عزت باشا، تحقيق: عبد الوهاب عزام، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع والتصدير، ط1، 2012م.
- ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (231هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م.
- الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد ابن تيمية الحراني (728هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ومكتبة الشروق الدولية، ط1، 2014م.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. (د. ط) (د. ت).
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (د. ط)، (د. ت).
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- سنن الترمذي، الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى أبو عيسى الترمذي، (279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د. ط)، 1998م.
- شرح الأربعين النووية، الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (1421هـ)، دار الثريا للنشر، (د. م)، ط3، 1425هـ- 2004م.
- شرح صحيح البخاري، الشيخ محمد بن صالح العثيمين (1421هـ)، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1428هـ- 2008م.
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان (معاصر)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1405 هـ.
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي (321هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407هـ - 1987م.
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (256 هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د. ط)، (د. ت).
- ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، طارق عمر علي التلباني، رسالة ماجستير، قسم العقيدة بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية -غزة، 1429هـ- 2008م.
- ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان بن عبد الرحمن العميري (معاصر)، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية-الخبر، ط1، 1438هـ - 2017م.
- العقد الاجتماعي، جان جاك روسو (1778م)، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر-القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- العودة إلى الإيمان، د.هيثم طلعت (معاصر)، دار الكاتب للنشر والتوزيع، الإسماعيلية- مصر، ط1، 2014م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.
- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1410هـ، 1990م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (817هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 8، 1426 هـ - 2005 م.
- قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت (1981م)، ترجمة: د.زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- القلق قيود من الوهم، د. عبدالستار إبراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، (د. م)، (د. ط)، 2002م.
- القواعد الفقهية، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (795هـ)، تحقيق: د.محمد علي البنا، دار الكتب العلمية: بيروت، (د. ط)، عام 2008م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التنهاوي (بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (427هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422، هـ - 2002 م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، (711هـ) دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (1188 هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1415 هـ - 1994م.
- ما بعد الصحوة تحولات الخطاب من التفرد إلى التعدد، د.عبد الله الغذامي (معاصر)، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية- الدار البيضاء، ط1، 2015م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (د. ط) 1416هـ/1995م
- مجموعة التوحيد، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (728هـ)، محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي (1206هـ)، دار إحياء التراث، (د. م)، (د، ط)، (د. ت).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ.
- محاكم الأحوال الشخصية في نظام القضاء السعودية، راشد عبد الله الرشود، رسالة ماجستير، قسم العدالة الجنائية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 1431هـ — 2010م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 هـ- 1990 م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (241هـ)، تحقيق: مكتب البحوث بجمعية المكنز الإسلامي بإشراف د.أحمد معبد عبد الكريم، جمعية المكنز الإسلامي - دار المنهاج، ط1، 1432 هـ - 2011 م.
- مسند البزار، البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، من 1988م إلى 2009م.
- المسؤولية الخلقية والجزاء عليها دراسة مقارنة، أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1990م.
- مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (1293هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ - 2003 م
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة. (د. م)، (د. ط) (د. ت).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د. م)، 1399هـ - 1979م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، (606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420 هـ.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (548هـ)، مؤسسة الحلبي، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- منهج الاقتصاد الإسلامي في إنتاج الثروة، أحمد لسان، دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، (د، ط)، 1408هـ.
- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، ط1، 1407هـ- 1987م.
- الموسوعة الإسلامية العامة، مجموعة باحثين بإشراف محمود حمدي زقزوق(2020م)، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1423هـ- 2003م.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.
- نظرات في دراسة الأديان، أ.د.عبد الله سمك (معاصر)، دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. ط1، 1436هـ- 2015م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1415 هـ.

**المجلات:**

- مجلة براهين العدد (1)، نظرات في الحالة الإلحادية من الناحية النفسية، أبو حب الله أحمد حسن، www.braheen.com.
- مجلة جامعة الملك سعود، العدد (14)، العلاقة بين مستوى التدين والقلق العام، صالح إبراهيم الصنيع.
- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد (46) محرم 1430هـ، النفس عند الفلاسفة الإغريق عرض ونقد، د. حياة بنت سعيد بن عمر باأخضر.

- مجلة حراء شركة إيشك للنشر في إسطنبول، العدد (14)، التدين والصحة النفسية، مصطفى كويلو.

**المواقع الالكترونية**

- ذا تايمز بيكاوني: https://www.thetimes.co.uk/
- بريل للنشر الأكاديمي: https://referenceworks.brillonline.com/subjects
- بيوفوروم (موقع): http://www.pewforum.org/2012/12/18/global-religious-landscape-exec/
- المركز الدولي للأبحاث والدراسات: https://medadcenter.com
- الحوار المتمدن: www.m.ahewar.org
- موقع الألوكة: https://www.alukah.net/
- موقع مركز النور: http://www.alnoor.se/